

# اصلام الفلاسفة

بقلم

سلوى موسى

جميع الحقوق محفوظة للهلال

طبعة عطية اهلل بعمر  
١٩٢٦



# أهدام الفلسفة

وهو ما تخيله العلماء والادباء وانفلاتهم من  
المثال العليا للهيبة الاجتماعية وما وضعيه من انظم  
احيالية لاح��ودة والتعليم والزواج وامتن من تهدى  
الاغريق الى الان

بقلم

سلمه موسى

جميع الحقوق محفوظة للهلال

طبع بمعطية اهلل بعمر  
١٩٤٦



مكتبة لسان العرب

# المقدمة

لكل منا حياتان . حياة الواقع التي يعيشها الانسان متأثراً بالوسط الزمني والمكاني وحياة الخيال التي يرغب في أن يعيشها . والفرق بين الحياتين هو فرق بين الوجود الناقص وبين التخييل الكامل أو بين ما هو موجود على الرغم مما وبين ما يجب أن يوجد وفق خيالنا وطبق رغائينا

والعقل الانساني مطبوع على أن يتم بخياله ما يراه ناقصاً في الحقائق الواقعية حوله . ومهما قيدنا العقل ومنعناه من التفكير في ما يهوى فإنه ينفلت منا ولو وقت النوم فيعيضنا من نقصنا الحقيقي كلاماً متواهماً . فلن جاع في النهار وقت صحوه أكل في الليل أشهى الأطعمة وقت نومه . ومن تحرّق في النهار لرؤيه حبيبه رأى طيفها يهادى في الليل وهو مستغرق في سماته . بل نحن نحلم في يقظتنا فنستسلم لاخواتر

الجميلة لنرى القصر الفخم الذي نسكن فيه بخيالنا  
وأجياد المطهمة تجر عرباتنا كما نرى الخدم والاتباع  
نخاطبهم بهجة الرياضة ونحن في فراش وثير لنا زوجة  
محبة وأولاد مطيمون وحدائق غناء تتزه فيها . كل  
هذا وأكثر منه نراه في خيالنا لأننا نشعر بالنقص في  
الحقائق الواقعية حولنا . ومن ضروب الراحة التي  
يلجأ إليها العقل أن يعيد التوازن في رغبات الجسم  
وشهوات النفس . وهذا هو السبب في أن الاستغراق  
في الضحك يعقبه شيء من الغم ، والانقسام في الشهوة  
يليها شيء من الشميزاز والفتور . فإذا كانت حقائق  
الحياة مؤلمة تعكر صفاء الذهن وتكمده بالتفكير والتدبر  
لملائفة تكاليفها وألامها كان من ضروب الراحة لهذا  
الذهن أن يعمد إلى ما يناقض هذه الحقائق من الخيال  
فيرسم لنفسه عالم آخر غير هذا العالم كله نعيم وسرور  
فكثير منا يعيش أذن في عالمين . عالم الواقع وهو  
أبداً ناقص وعالم الخيال وهو أبداً كامل على التحديد

الذى نفهم به معنى السكوال . فإذا آلتنا الحقيقة لجأنا  
إلى الخيال أو قل بعبارة أخرى إذا رأينا الواقع خارجنا  
نافقاً مختلاً مؤلماً فرداً منه إلى الخيال داخل اذهاننا  
فاعتضنا من الحقيقة حاماً

وإياك واحتقار الاحلام . وهل تتحقر الآلة ؟

اعتبـر المـصـريـين الـقـدـماء لـمـا اـسـتـبـدـت بـسـوـادـاـةـاـمةـ

فـئـةـ قـلـيلـةـ العـدـدـ مـنـ الـامـرـاءـ وـالـكـهـنـةـ وـالـاجـنـادـ  
وـاسـتـحـوـزـواـ عـلـىـ ثـرـوـةـ الـبـلـادـ وـرـأـيـ أـفـرـادـ هـذـاـ السـوـادـ

أـهـمـ يـعـيـشـونـ فـيـ حـرـمـانـ لـاـ يـنـعـمـونـ بـشـيءـ مـنـ نـعـمـ

هـذـهـ الـحـيـاةـ عـمـدـواـ إـلـىـ خـيـالـهـمـ فـاخـتـرـعواـ عـالـمـاـ آخـرـ

يـعـيـشـ فـيـهـ الـمـحـرـومـونـ الـمـظـلـومـونـ يـؤـجـرـونـ أـجـراـ

حـسـنـاـ عـلـىـ مـاـ قـاسـوـهـ فـيـ هـذـاـ عـالـمـ وـيـنـعـمـونـ هـنـاكـ بـمـاـ لـمـ

يـقـدـرـواـ أـنـ يـنـعـمـواـ بـهـ هـنـاـ . فـكـانـ خـيـالـهـمـ قـدـ ثـارـ عـلـىـ

الـحـقـيقـةـ وـخـرـجـ عـقـاـهـمـ الـبـاطـنـ عـلـىـ عـقـلـهـمـ الـظـاهـرـ وـأـوـجـدـ

نـوعـاـ مـنـ التـواـزنـ فـيـ حـيـاتـهـمـ بـحـيـثـ جـعـلـ مـاـ تـوـهـمـهـ مـنـ

مـلـذـاتـ الـعـالـمـ الثـانـيـ بـنـسـبـةـ مـاـ هـوـ وـاقـعـ مـنـ آـلـامـ هـذـاـ

العام الأول . ولعلك من هنا تدرك تلك النزعة الاحادية  
التي تعتري بعض الشياطين من الاشتراكين  
والشيوعيين حين يقاومون الاديان ويحضرون السواد  
على تركها إذ يخشون هذا التوازن الذي يحدنه الاعياد  
بعام آخر وما يعقبه من تهدة لنفس العمال وهم انما  
يoglobin في إحداث القلق والاستعار في نفوسهم  
والفيلسوف والعالم والاديب كلهم يتخيّل ويحملم .  
وهو أكثير خيالاً وحالمًا اذا اضطررت أحوال المعيشة  
وتنافر الخيال المشتهى مع الواقع الحتم . ونحن في كل  
أزمة تقع او نكبة تلم بنا نجدنا ازاء ثلاثة حلول لنا أن  
نختار منها واحداً . فاما أن نفر كما يفعل الناسك  
يزهد في الحياة فينجحا الى صومعته مهزوماً كالاسد  
الجرحى يذهب الى مغارته . واما أن نكافح مدافعين  
وهذا ما يفعله معظمنا . واما أن نهاجم وهذا ما يفعله  
الاديب او العالم او الفيلسوف . فهو لا يفر وهو  
أيضاً لا يكتفي بالملائفة وانما يتخيّل وسطاً يجعله

بديلاً من هذا الوسط الحقيقى فيهاجمه به ويدعو الناس الى حلمه حتى يستبدلوا بحقائقهم خياله . ولكل انسان مزاج خاص . ولكن أمزجة الناس متداخلة فليس فيما من لا ينفك في الفرار بعض الاحيان . ولم تكن المهاجرة الى اميركا إلا فراراً من أوربا . وليس فيما من لا يكافح بعض الاحيان بل هذا هو شأننا طول النهار كما أنه ليس فيما من لا يتخيّل ويحلّم ولو بضع دقائق بعد الغداء حين يطمو العقل الباطن بالعقل الظاهر وتسلسل الخواطر بلا قيد ولا شرط والفيلسوف ومن اليه من المفكرين يختلفون عن الكاهن المصري القديم الذي يتناول أحلام سواد الاية من حيث أنهم لا يجعلون ميدان حلمهم في العالم الثاني . فإن همومهم الذهنية مقصورة على هذا العالم والناس على الارض لا الملائكة في السماء هم موضوع كلامهم وخياطهم . فهم يرون من الخبط والخلط في الهيئة الاجتماعية ومن الظلم والاسراف في

معاملات الناس ما يحthem على اختراع نظام أوف  
يضمـن لهم أـكـلـ ما يـتوـهمـونـ من صور العـدـالـةـ  
وـالـصـحـةـ وـالـعـادـارـ . فـهـمـ يـحـلـمـونـ إـنـاـ وـنـحـنـ أـحـيـاءـ عـلـىـ هـذـهـ  
الـأـرـضـ وـلـاـ يـبـالـونـ بـنـاـ بـعـدـ مـوـتـنـاـ لـاـنـ الـحـيـاةـ لـاـ الـمـوـتـ

ـ هـيـ مـوـضـوـعـ تـفـكـيرـهـ وـغـاـيـةـ نـظـرـهـ فـيـ الـاصـلاحـ  
ـ وـلـاـ تـنـسـ أـنـ كـلـ اـصـلـاحـ حـدـثـ فـيـ الـمـاـضـيـ أـوـ  
ـ سـيـحـدـثـ فـيـ الـمـسـتـقـبـلـ إـنـاـ هـوـ حـلـمـ مـنـ أـحـلـامـ أـحـدـ  
ـ الـمـفـكـرـينـ . وـقـدـ صـدـقـ أـنـاطـولـ فـرـانـسـ فـيـ قـوـلـهـ :  
ـ «ـ لـوـلـاـ أـحـلـامـ الـفـلـاسـفـةـ فـيـ الـازـمـنـةـ الـمـاضـيـ لـكـانـ  
ـ النـاسـ يـعـيـشـونـ إـلـىـ الـآـنـ كـمـاـ كـانـواـ يـعـيـشـونـ قـدـيـمـاـ عـرـاءـاـ  
ـ أـشـقـيـاءـ فـيـ الـكـهـوـفـ . لـقـدـ كـانـ اـشـاءـ أـوـلـ مـدـيـنـةـ  
ـ خـيـالـاـ مـنـ أـخـيـلـةـ الـمـفـكـرـينـ . . . وـمـنـ الـأـحـلـامـ السـخـيـةـ  
ـ ظـهـرـتـ الـحـقـائـقـ الـنـافـعـةـ . فـاـخـيـالـ هـوـ مـبـدـأـ التـقـدـمـ وـفـيـهـ

ـ مـحاـوـلـةـ إـبـجـادـ الـمـسـتـقـبـلـ الـحـسـنـ »

ـ وـفـيـماـ يـلـيـ قـدـ خـصـنـاـ لـقـرـاءـ بـعـضـ الـأـحـلـامـ الشـهـيرـةـ  
ـ الـتـيـ رـأـهـاـ الـفـلـاسـفـةـ فـيـ يـقـظـهـمـ وـنـخـيـلـوـهـاـ عـنـ روـيـةـ

وتدبر يرجون بها اصلاح الهيئة الاجتماعية ومنها يقف  
القارئ على ضروب الاصلاح التي تخيلها هؤلاء  
الفلسفه وما كان من اثر الوسط في كل منهم وكيف  
كانوا يتخيرون المدينة الفاضلة والحكومة الفاضلة  
وأحسن ضروب الزوج وخير نظام للتربيه وما  
إلى ذلك

ولا شك في أن القارئ وهو يتنقل من ترسيم  
إلى ترسيم ومن برنامج إلى آخر سيدفعه خياله إلى أن  
يحلم هو أيضاً حاماً قد يظن أنه جدير بأن يحشر بين  
هذه الاحلام وسواء أكان هذا أم لم يكن فالمؤلف  
قد تجرأ وحشر حلمه بينها في « طوبى » توهماً كاملة  
مستوفية شروط السعادة لمن به كفاية السعادة

سلامه صو-ى



# فهرس الكتاب

صفحة

٣ المقدمة

١٧ جمهورية أفلاطون

٣٠ حلم توماس مور

٤١ اندربيا وحالمه

٤٨ اضغاث احلام

٥٣ عصر الصناعة واحلامه

٦٤ من احلام القرن التاسع عشر

٧٠ سنة ٢٠٠٠

٧٨ ثلاثة من الانجليز

٩١ الحقيقة بنت الوهم

٩٧ تطور الاحلام

١٠٣ نقد ومراجعة

١١١ مقدمة لطوبى مصرية



# جمهوريّة افرطوه

( ولد سنة ٤٢٦ ومات سنة ٣٤٢ ق. م )

يتسم الادب الاغريقي بشيئين : المجازفة ، والحرية .  
ولهذا السبب كان الاغريق لا يزالون للآن مبعث الوحي  
لكل نهضة أو تجديد في الادب . لان المجدد أو الناهض  
لا يكون كذلك إلا إذا تخلص من القيود العديدة سواء  
أكان مصدرها الشرائع أم التقاليد . ثم هو لن يكون مجدداً  
إلا إذا كان احساسه بالحرية أكثر من احساس غيره بها فما  
يعده غيره فيه مخاطرة يراها هو في نفسه رياضة فكرية  
ليس فيها شيء من المجازفة . فإذا قرأ الاغريق وأشرب  
روحهم صار مثلهم يجري على نسقهم في حرية التفكير والجرأة  
في الاستنتاج حتى تصير هذه الجرأة طبيعة فيه قد اكتسبها  
باللغة مع هؤلاء الاغريق

والحق أنه من عجائب التاريخ أن تقوم نهضة أوروبا في  
القرن الخامس عشر على درس اناس مضى عليهم ألفا عام .  
إذانا ننتظر من المجدد أن يترك القديم في بلاه وينظر في

الحاضر ويتطلع الى المستقبل . ولكن الاغريق على قدمهم وبلاهم لا يزال في آثارهم الفكرية ما يشبه أذهاناً ويضطرنا الى النظر في أي موضوع نعالجه من زاوية غير تلك التي ألفناها في البحث . وليس في معلومات الاغريق أو معارفهم ما يحتاج إلى معرفته ولكن نزعة الحرية والمحازفة في البحث هي التي كانت تحتاج إليها في كل همة أو حركة تجديدية . ومن هنا كانت الروح الاغريقية على الدوام مبعث المضات الفكرية في الأدب والفلسفة

ولنضرب بعض الأمثلة على جراءة الاغريق في تفكيرهم : فقد كان ارسطوطاليس يقرر ان الآلهة على الرغم من قدرتها لا تستطيع أن تبدل النواميس الطبيعية . فكان بذلك لا يقر لها بمعجزات

وكان توقيديد ينعي على الناس زواجهم جزأاً من غير انتقاء ويقول اننا نعني بتأصيل الحرف والخيول أكثر مما نعني بالانسان وان كرام الناس أقل من كرام الخيل لان لكل أحد من الناس الحق في التنااسل . وكان ارسطوطاليس أيضاً يعد الجمال شرطاً من شروط السعادة

وكان افلاطون يبحث في شيوعية النساء  
في مثل هذا الوسط الحر نشأ أدب نزيه خلو من القيود

لابزال الى الان كما قلنا يوحى الى الكتاب والادباء روح  
التفكير النزيه الحر الجريء

ولذلك يجدر بنا أن نبحث حلم افلاطون في أول ما  
نبحث من أحلام الفلسفه لنرى أي مدينة فاضلة تخيلها لضمان  
سعادة الناس وراحتهم . فان جميع من عالجووا هذا الموضوع  
بعده قد ساروا على طريق حاول هو من قبلهم أن يعبده لهم .  
فامن واحد منهم كتب في «المدينة الفاضلة» إلا وكانت  
«جمهوريه» افلاطون وراء ذهنه تلهمه وتجرهه وتسلده .  
ولا شك في ان المدينة الفاضلة كما توهما الفارابي ترجع الى  
افلاطون في الايحا، بل في بعض الترسيم أيضاً ولكن  
الفارابي جرياً وراء المزعة التي كانت سائدة في عصره اعتمد  
على «إلهيات» افلاطون وبعثها وشرحها أكثر مما اعتمد  
على ترسيم الجمهوريه الانساني حتى ليكاد يفقد الانسان الصلة  
بین «المدينة الفاضلة» للفارابي و «الجمهورية» لافلاطون  
كان العصر بين سنة ٦٠٠ وبين سنة ٣٠٠ قبل الميلاد  
عصر بناء المدن في بلاد الاغريق . فلم تكن الدولة كما نعرفها  
الآن تؤلف من عدة مدن وقرى ومستعمرات خارجة عنها  
بعيدة منها معروفة عند الاغريق في بلادهم وان كانوا قد

سمعوا عنها عند الفرس والمصريين . فكانوا اذا تصوروا حكومة لم يتجسم في اذهانهم سوى المدينة أما القطر فلم تكن له شخصية قانونية عندهم . ولم يكن افلاطون هو الوحيد الذي تخيل حلم المثل الاعلى للحكومة والهيئات الاجتماعية فقد ذكر ارسطو طاليس ان من يدعى فالياس قد تخيل مثل هذا الخيال وقال بوجوب المساواة في حقوق الاملاك . وان هبودامس أيضاً قد وضع كتاباً في تحضير المدينة الفاضلة

ولكن « جمهورية » افلاطون هي الاير الباقي من تلك الاحلام وقد تخيمها عقب تلك الحرب الرائعة التي نشببت بين اسبارطة وبين اثينا وطالت مدتها وامتد لها الى جملة بلاد فخرتها ونشرت الفوضى في نظام هيئاتها الاجتماعية . والخراب والدمار والفوضى التي تحدّثها الحروب تجرى الناس على التفكير والترسيم وتحوّلهم الى الاقرار بسوء النظم القديمة وضرورة احتطاط الخطط الجديدة . وكما فكر الرئيس ولسون في ايجاد عصبة الامم عقب الحرب الكبرى فكر افلاطون أيضاً عقب حروب اسبارطة وأثينا في ايجاد نظام جديد يضمن للناس السعادة والرخاء

ولم تكن الدولة في عهد افلاطون قطرأً بل كانت مدينة لذلك قصر حلمه على المدينة لا على القطر . بل هو يجعل

مدینته صغیرة بحیث يمكن اجتماع جمیع سکانها لخطیب واحد او يمكنهم أن يشترکوا في لعبه واحدة أو يمكنهم التعارف والمصادقة فلا يكون أحدھم غریباً عن الآخر . ولنذكر ان وسائل الاشتراك في الرأی والتعارف الموجودة بیننا الان لم تكن موجودة في زمنه . فنحن نتعارف الى حد كبير بالصحف والتلغراف والتلفون والبريد ثم ان وسائل المواصلات نفسها تقرب البعید من المسافات وتجعل الاجتماع ممکناً على الرغم من بعد الشقة بین المجتمعين . ولكن الحال لم تكن كذلك في زمن افلاطون ولذلك جعل مدینته صغیرة يبلغ سکانها نحو خمسة آلاف نفس فقط

فجمهوريۃ افلاطون هي قریۃ متمدینة حولها حقول خاصة بها للزراعة وأهلها في حال وسط بین الترف وین الفاقة . فلا الترف يکسبھم الرخاوة التي تبلد الجسم والحواس ولا الفاقة تضعف أجسامھم وتکدهم في العمل الشاق . ثم ان الفاقة والترف كليهما يعود بأسوأ العواقب على الفنون . ولا يمكن اغريقیاً أن يفكر في مثل اعلى لا يعني الناس فيه بالفنون . فجمهوريۃ خالية من الغنى ومن الفقر لأن : « الاول يلد الترف والرخاوة والثاني يلد الدناءة والرذيلة وكلاھما يحدث الاستیاء »

والناس في الجمهورية سواء فيما يملكون يحصلون على ما يحتاجون إليه حاجة حقيقة ولا ينالون ما لا يحتاجون إليه . وكانت غاية أفلاطون توفير السعادة للناس ولكن هذه السعادة لا تناول بما تملك من عروض الدنيا بل بما في أنفسنا من خصوبة وزكاؤه . فسعادة ليست سعادة التهم الذي يلذ له التهام الطعام بل سعادة الراقص أو العازف الذي تلذ له حركاته وما فيه من خفة ورشاقة . فهو لذلك يساوي بين الناس فيما يملكون لأنه لا يرى أن الامتلاك يميز شخصاً على آخر من حيث السعادة

والميئه الاجتماعية في هذه الجمهورية مؤلفة بالطبع من أفراد . ولكن اجتماع هؤلاء الأفراد ليس اجتماعاً اعتباطياً اذ هو مئتلاط ائتلاف أعضاء جسم الانسان في شخصه فكل انسان في هذه الميئه يخدمها وفق كفايته وقدرته كما يخدم العضو الجسم . وانما يحدث السلام والوفاق بين أعضاء هذه الميئه اذا اختص كل عضو بوظيفته لا يتعداها الى غيرها . فالعدل في هذه الجمهورية « هو ايجاد مكان لكل انسان وأن يكون كل انسان في مكانه » على نحو ما نرى في الجودة الموسيقية فان الخلل يصيب الجودة جميعها اذا خرج أي انسان منها من مكانه ، والوفاق بين نغماتها بزول

اذا قام واحد منها بتبديل ما كلف به من النغم لا يجاد الاحن  
العام للجودة جميعها

ولكن كيف يمكن افلاطون أن يضمن بقاء كل انسان  
في صناعته ومكانه لا يتخطاها الى غيرها ؟

هنا احتاج افلاطون الى ايجاد نظام الطبقات . فطبقة  
تحتخص بدرس الحكمة وتدبير شؤون الجمهورية السياسية  
والحكومية وهذه هي طبقة الاوصياء . وطبقة تختص بالجندية  
لحماية المدينة وهذه طبقة المقاتلة . وطبقة تختص بالزراعة  
والصناعة وهذه هي طبقة العمال

وعنایة افلاطون هي بالطبع بالطبقتين الاوليين أما  
الطبقة الثالثة فلا يالي بها كثيراً اذ هي رعية محاكومة فوقها  
طبقة الاوصياء يأمرون وينهون ودورها طبقة المقاتلة تنفذ  
أوامرهم . ولن يست هذه الطبقات جامدة لا يمكن واحداً من  
احدى الطبقات الدخول في أخرى . فكل شخص يمكنه  
أن يرتقي من طبقة الى طبقة اذا ظهرت منه كفاية وهو بعد  
صغر يمكن تربيته

وقد ألغى حقوق امتلاك الاشياء وحقوق امتلاك  
الزوجات بين طبقة الاوصياء وطبقة المقاتلة ولكن أبقاءها  
بين طبقة العمال . وهو أنها ألغى الزواج والامتلاك بين هاتين

الطبقتين عنانية بهما لانه يريد أن يخضع أفرادها لنظام خاص  
حتى ينشأ أفراد كل طبقة على صبغة خاصة

أما الابتداء في تقسيم الطبقات فمن الصعوبة بمكان ..

فانه ينبغي بالطبع على الانتخاب، يختار الصبي الذي لا يكفي  
يكون وصيًّا فيربى تربية خاصة ثم يختار صبي آخر يميل الى  
الرياضة البدنية وتبدو عليه دلائل القوة فيختار طبقة المقاتلة ..

أما الزراع والصناع فكثيرون

وللننظر في الوسائل التي يتخذها افلاطون لتخليد هذا  
النظام ودوام بقائه . فهذه الوسائل تتلخص في ثلاثة أشياء  
وهي : التوليد ثم التربية ثم الرياضة اليومية

فأما في طبقة العمال الذين يزرعون ويصنعون فليس هناك  
توليد مقصود بينهم فهم يتزوجون وينسلون . أما تربية  
أولادهم فهي التربية الشائعة بين الصناع والزارع . يتتمدد  
الصبي عند صانع أو زارع فيتعلم منه حرفه ويخرج عليه  
ويحترف حرفه وليس له رياضة يومية خاصة

أما طبقة المقاتلة فيعيشون في شكلة خاصة فلا يملكون  
ولا يتزوجون وإنما يتعارفون إلى النساء فإذا حملن منهم لم  
ينتسب الابن إلى أب معروف بل ينشأ مقاتلاً يربى تربية  
الطبقة ولا يعرف ولا لغير وطنه ولا يبالي بمصلحة غير

مدينته . ثم يربى الطفل تربية قاسية فإذا كانت به عاهة قتلت  
ونبذ أما إذا وافق جسمه صناعة القتال احتفظ به وعني به  
ودرب تدريب خاصه لتنمية جسمه وذهنه

وكذلك الحال في طبقة الاوصياء يتلاقي النساء والرجال  
بدون تعين امرأة بعينها لرجل بعينه حتى يتضيئ النسب ولا  
يعرف أحد والديه . وهذا مع العناية بالانتقاء فأجمل الرجال  
وأكثراهم حكمة وعقلًا يشجع على التناسل حتى يكثر أولاده  
ويرثوا صفاته في الشجاعة والعقل . وكان افلاطون يرى أن  
التفوق في خدمة الجمهورية يجب أن يمنع صاحبه حق التلاقي  
مع عدد من النساء أكبر مما يمنع غيره . وليس من الواضح  
هل قال افلاطون ذلك على سبيل مكافأة الوصي لحسن بلائه  
في خدمة الجمهورية أو لأنه يريد إلا كثيرون من نسله لأن تفوقه  
في الخدمة دليل تفوقه في العقل

ولم يكن افلاطون يسمح للطبقات بالاختلاط الجنسي .  
فلكل طبقة نساؤها ورجالها لا يتعدونها إلى غيرها . فكأنه  
كان يريد أن يجعل كل طبقة سلالة خاصة لها صفات خاصة .  
وكان كما قلنا اسبرطي المزاج يكره الضعف والمرض فكان  
يقول بقتل جميع الأطفال المؤوفين وتحديد عدد أطفال طبقة  
العمال حتى لايفيضوا على غلات الأرض

أما تربية الاوصياء فكانت التربية الاغريقية المعروفة في زمن افلاطون مع التعديلات التي يحتاج إليها نظامه . ولما يكن للاوصياء عائلة فإن أولادهم يوكلون إلى مربين يعهد إليهم ثقافة أجسامهم بالألعاب الجمنازية وثقافة عقولهم بالموسيقى ما داموا صبياناً . ثم يلقن الصبي ضروب المعرف على طريقة اللعب بحيث لا يشعر أنه يكدر للتعلم وإنما يتعلم وهو يلعب مسروراً فإذا شب وضع له نظام آخر في التعلم . ثم يمتحن الشبان من وقت لاخر فلا يدخل طبقة الاوصياء سوى الذين ثبت بالامتحان أنهم أهل لأن يتولوا حكومة المدينة . ويعيش الاوصياء فيما يشبه الثكنة ولا يجوز لأحد منهم أن يقتني بيته أو مخزنًا ولا يجوز لهم أن يمتلكوا أي شيء إلا تملك الأشياء الضرورية التي لا يستغني عنها انسان . وهم يكملون مكافأة معتدلة تكفي حاجاتهم بحيث لا يشعرون بضيق الفاقة ولا يجدون أيضاً سبيلاً إلى الترف . وهم يأكلون معًا ولا يحملون الذهب أو الفضة . والقصد من كل هذا النظام أن يبقى الوصي نزيهاً لا تشغله مشاغله الخاصة عن النظر في شؤون المدينة ولا ينحرف رأيه في حكم لمرااعة مصلحة خاصة . فليس له قريب يحابيه أو ولد يدخل المال له وكذلك أيضاً لا يختلط بالناس ولا يعاشر أحداً من غير

طبقته فتستحيل العاشرة الى مصاحبة او مصادقة تحول دون النزاهة

والاوصياء يكونون في شبابهم من طبقة المقاتلة يقضون وقتهم في تشقيف أجسامهم وعقولهم . فإذا بلغوا الخامسة والثلاثين عهدت اليهم الرئاسة في بعض أقسام الجيش وجرؤوا على اكتساب التجارب . فإذا بلغوا الثلاثين وجازوا الامتحانات الشاقة صاروا اوصياء وعندئذ تقتصر أعمالهم على درس الفلسفة ووضع نظام الحكم

وليست مهمة الاوصياء سن القوانين واما هي اختراع نظم للحكم او وضع الدساتير للمدينة لضمان حرية الافراد . فالحرية هي الهم الاول الذي يهتم له افلاطون ويعدها أخطر ما ينبغي العناية به فهو لذلك يوكل حراسها الى الاوصياء الذين يجب عليهم اختراع الانظمة التي تضمن عدم العبث بها . فالناس في مدينة افلاطون يحكمون أنفسهم واما يضع الاوصياء الدساتير لهم سواء اكان ذلك لطبقة العمال أم لطبقة المقاتلة فهم أشبه بالمسرفيين منهم بالحكام . فإذا وجدوا ان الدستور الموضوع لطبقة العمال مثلا لا يفي بحاجاتهم استبدلوا به غيره

وقد يرى القارئ ان افلاطون قد استسلم للخيال في

وَهُمْ إِلَّا زَوْجٌ وَالْأَمْتَالُ فِي طَبْقِي الْمَاقَاتَةِ وَالْأَوْصِيَاءِ .  
وَهَذَا صَحِيحٌ إِلَى حِدَّتِهِ لَكِنْ يَنْبُغِي أَنْ نَذَّكِرَ أَنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ  
الْمَسِيحِيَّةَ وَخَاصَّةً نَظَامَ الْيَسُوعِيَّينَ مِنْهَا قَدْ سَارَ عَلَى نَحْوِهِ مِنَ  
هَذَا النَّظَامِ فَالرَّاهِبُ لَا يَمْلِكُ زَوْجَةً وَلَا شَيْئًا آخَرَ وَمَعَ ذَلِكَ  
نَجَحَ هَذَا النَّظَامُ . وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ قَدْ اسْتَسْهَلَ انْكَلَارِ  
الذَّاتِ وَالتَّضْحِيَّةِ بِغَرَائِزِهِ اِجْنِسِيَّةً وَغَرِبَّةَ التَّمْلِكِ فِي سَبِيلِ  
الْخَدْمَةِ الْمَدِينِيَّةِ فَلَمْ لَا يَسْتَسْهَلَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ خَدْمَةِ الْإِنْسَانِ ؟  
وَإِذَا كَانَ فِي النَّاسِ جَمَاعَاتٍ يَرْصُدُونَ حَيَاتَهُمْ لِخَدْمَةِ اللَّهِ ،  
يَحْبِسُونَ أَنفُسَهُمْ فِي اِدِيَارٍ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا مَدِيَّ حَيَاتِهِمْ  
يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ فِي الصَّلَاةِ وَالْتَّعْبُدِ فَلَمْ لَا يَكُونَ بَيْنَهُمْ مِنْ يَفْعَلُ  
ذَلِكَ فِي سَبِيلِ دَرْسِ الْحَكْمَةِ وَإِبْحَادِ النَّظَمِ لِلْحُكُومَاتِ وَضَمَانِ  
الْحُرْيَّةِ لِلْأَفْرَادِ ؟

فَيَجِبُ أَلَا تَوْهِمَ أَنَّ افْلَاطُونَ قَدْ اسْتَسْلَمَ لِلْخَيَالِ كُلِّ  
الْاسْتِسْلَامِ . فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَكُلِّ حُكْمَ النَّاسِ إِلَى الْفَلَاسِفَةِ .  
وَهُوَ يُرِيدُ كَارَأَى بَعْدَهُ نَبِيُّ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْوَلَدَ مُجَبَّنَةً وَمُبَخَّلَةً  
لَابِيَّهُ . فَعَمِدَ إِلَى سَبِيلِ ذَلِكَ فَوْجَدَهُ فِي الزَّوْجِ فَأَلْغَاهُ حَرَصًا  
عَلَى أَنْ يَبْقَى الْوَصِيُّ أَوْ الْمَقَاتِلُ نَزِيمًا لَا يَعْمَلُ إِلَّا لِمَصْلِحَةِ  
مَدِينَتِهِ . وَقَدْ ذَكَرَنَا الرَّهْبَانِيَّةَ دَلِيلًا عَلَى امْكَانِ نَزُولِ الطَّبِيعَةِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ عَنْ حَقِّ التَّمَتعِ بِالزَّوْجِ وَالْأَمْتَالِ وَنَذَّكِرُ جَيْشَ

الانكشارية عند الاتراك دليلا على أن الرباط العائلي يقلل من شجاعة الناس . فان هذا الجيش كان يؤلف من صبيان النصارى الذين يؤسرون فينشأون وهم لا يعرفون لهم عائلة فكان هذا من أسباب شجاعتهم واستماتتهم في القتال

# حَلْمُ تُومَاسُ صُورٍ

( ولد سنة ١٤٧٨ ومات سنة ١٥٣٥ )

بعد ان مات الاغريق ماتت الحرية الفكرية في جميع أنحاء العالم الا بصيغة منها بقي عند العرب يومض وينبؤ ببعاً للزمان والمكان . فقد كان الاغريق جريئاً يجازف في الخيال ولا يبالي بالآلهة أو بالناس . وذلك لأن الآلهة والناس كلهم لم يكن لها ذلك السلطان الذي صار لها فيما بعد أي بعد ظهور المسيحية والأمبراطرة والملوك . فقد كانت الآلهة الاغريقية كثيرة العدد كل منها مختص بعمل فلم تكن له حرمة إله المسيحية أو إله الاسلام أو ما لها من السيادة الاتوقراطية والعلم بكل شيء وأملاء كل شيء على الناس . وكذلك لم يكن لهم ملوك مستبدون يمنعون الناس من التفكير في اشكال الحكومات وسياسة الدول وسن الشرائع

لم يكن شيء من ذلك عند الاغريق فكانت أفكارهم تنطلق حرة تسبح أينما تشاء . وكان فلاسفتهم يكتبون في كل ما يعرض لهم بلا تحرج لا يتورعون من دين ولا يخسرون بأس ملك . ثم كانت المسيحية وإلهها قادر على كل

شيء عارف بكل شيء . فخرج الملوك من يد الانسان الى يد الله ومن هذا العالم الى العالم الآخر . فإذا كان افلاطون قد وجد المجال واسعاً لان يتخيّل ويحلم في ايجاد مملكت أرضي ينال فيه الناس السعادة والهناء فان المسيحية قد ضيقـت هذا المجال لأنها أوجـدت من جنة النعيم في الآخرة بدليلاً من مثل هذه الاحلام . ولم تكن هذه الارض في نظر المسيحية سوى دار بلاء وتجربة يعبرها الناس الى جنة النعيم . وهذا أيضاً هو نظر الاسلام

ثم كان ملوك النصارى وخلفاء المسلمين عائقاً آخر يمنع التخيـل والبحث في المثل العليا للحكومات والهيئات الاجتماعية . لـان بـحث هذه الموضوعـات دليل السخط على النظم الموجودة التي لا يرضى مـلك أو خـليفة بـانتقادـها

ثم كانت النهضة الاوروبـية فـعادت أوروبا الى نفسها القديمة وأخذـت تعـنى بتـاريخ الـاغـرـيق . فـصارـت تـدرـس ثـقـافـتهم وـتـتمـثـلـها حتى نـزـعـت نـزـعة اـغـرـيقـية جـديـدة فـصارـ علمـاؤـها وـفـلـاسـفـتها يـتـبـأـون وـيـتـخـيـلـون وـيـحـلـمـون

وـكانـ منـ هـؤـلـاءـ الـحـالـيـنـ توـمـاسـ موـرـ الـانـجـليـزيـ وـكانـ وزـيرـاًـ لهـنـيـ الثـامـنـ فـلمـ يـكـنـ حـلـمهـ مـبـنيـاًـ عـلـىـ أـسـسـ الـخـيـالـ . فـقدـ خـبرـ الدـولـ وـعـرـفـ مـارـسـتـهـ الطـوـيـلـةـ لـلـسـيـاسـةـ بـعـضـ

حقائق الطبيعة البشرية . فهو لذلك يتخيّل ولكنّه يبني خياله على أساس من الحقائق

وبطل الحلم رجل برتغالي يدعى هيتيوداي كان كاينتظر القارئ يعرف الاغريقية وقد اعتاد المجازفات الفكرية من فلاسفة هذه اللغة . ولكنّه لم يكن رجل كتب فقط فقد عرف رجلاً يدعى فسبو تيموس زار معه أميرًا الشماليّة والجنوبيّة وجزائر الهند الشرقيّة وهناك رأى بلادًا تختلف ما ألقه في بلاده من حيث المؤسسات والنظم وتركيب الهيئة الاجتماعيّة . فهو لذلك يروي ما رأاه في هذه الرؤيا لعل فيه فائدة للقارئ .

يقول هيتيوداي أنه زار جزيرة طولها مائتا ميل قد خطت في وسط المحيط بهيئة الملال يتقوس حول الخليج الكبير بحيث يسهل الدفاع عنها من غارة أي عدو . وبالجزيرة ٥٤ مدينة أقربها تبعد عن الأخرى بقدار ٢٤ ميلاً وأبعدها تكون على مسيرة يوم منها وعاصمة الجزيرة بلدة تدعى اموروط وكل بلدة اختصاص قضائي على ما حولها من الأرض إلى ما يبعد عنها بعشرين ميلاً

والزراعة هي أساس المعيشة في هذه الدولة فليس فيها من يجهل هذه الصناعة فهناك فلاحون يقضون كل حياتهم

في الحقول لهم دسّاكـرـهم منبـثـةـ فيـ الـرـيفـ وـلـكـنـ عـنـدـ المـصـادـ  
يرـسلـ عـمـالـ مـنـ المـدـنـ لـمسـاعـدـةـ الـفـلـاحـينـ .ـ وـكـلـ دـسـكـرـةـ تـحـتـويـ  
عـلـىـ أـرـبعـينـ رـجـلـاـ وـأـرـبعـينـ اـمـرـأـةـ وـفـيـ كـلـ عـامـ يـعـودـ عـشـرـونـ  
مـنـ هـذـاـ العـدـدـ إـلـىـ الـمـدـنـ وـيـسـتـبـدـلـ بـهـمـ عـشـرـونـ آخـرـونـ.  
يـرـسـلـونـ مـنـ الـمـدـنـ إـلـىـ الـدـسـكـرـةـ كـيـ يـتـعـلـمـواـ الـفـلـاحـةـ .ـ  
وـالـفـلـاحـةـ مـتـقـدـمـةـ مـنـ وـجـوـهـاـ الـاقـتصـادـيـ وـالـانتـاجـيـ .ـ فـهـمـ  
يـعـرـفـونـ كـيـفـيـةـ اـنـتـاجـ الدـاجـاجـ بـطـرـيـقـةـ صـنـاعـيـةـ وـيـعـرـفـونـ مـقـدـارـ  
الـطـعـامـ الـمـطـلـوبـ لـاهـلـ الـجـزـيرـةـ فـيـ زـرـعـونـ مـاـ يـكـنـيـ أوـ مـاـ يـفـيـضـ  
عـنـ الـكـفـافـةـ

وـمـعـ انـ جـمـيعـ سـكـانـ الـجـزـيرـةـ يـعـرـفـونـ الـفـلـاحـةـ وـقـدـ مـارـسـوـهـاـ  
بعـضـ عـمـرـهـمـ فـاـنـهـمـ جـمـيعـهـمـ يـعـرـفـونـ صـنـاعـةـ أـخـرـىـ يـزاـولـهـمـاـ  
كـالـبـنـاءـ وـالـنـجـارـةـ وـالـمـدـادـةـ وـالـمـيـاـكـةـ وـجـمـيعـ الصـنـاعـاتـ  
مـتـسـاوـيـةـ الـقـيـمـةـ فـلـاـ تـفـضـلـ وـاحـدـةـ أـخـرـىـ .ـ وـالـنـاسـ يـتـبـعـونـ  
آـبـاءـهـمـ فـيـ الصـنـاعـاتـ .ـ فـالـصـنـاعـةـ تـمـارـسـهـاـ الـعـائـلـاتـ لـاـ اـفـرـادـ  
وـاـذـاـ مـالـ وـاـحـدـ إـلـىـ صـنـاعـةـ تـخـالـفـ مـاـ يـزاـولـهـ أـبـوهـ ذـهـبـ إـلـىـ  
عـائـلـةـ أـخـرـىـ فـتـتـبـنـاهـ الـعـائـلـةـ وـيـأـخـذـ فـيـ تـعـلـمـ صـنـاعـهـاـ .ـ وـيمـكـنـهـ  
ـاـذـاـ أـرـادـ .ـ أـنـ يـتـعـلـمـ صـنـاعـةـ أـخـرـىـ بـاتـبـاعـ هـذـهـ الطـرـيـقـةـ نـفـسـهـاـ  
ـمـ لـهـ أـنـ يـخـتـارـ مـاـ شـاءـ مـنـهـاـ

وـيـنـحـصـرـ عـمـلـ الـقـضـاءـ تـقـرـيـباـ فـيـ اـجـبـارـ النـاسـ عـلـىـ الـعـمـلـ

وليس معنى هذا ان أهل الجزيرة يكدون أنفسهم ليل نهار فان لهم توقيتاً للعمل والراحة فهم ينامون ثمان ساعات ويستغلون ستة و يتصرفون بسائر اليوم كما يشاءون وهم يستغلون هذا العدد القليل من الساعات لأن كل انسان مجبر على العمل فليس بينهم أشراف أو أمراء أو شحاذون يعيشون عالة على غيرهم . ولا يعفي من هذا الاجبار سوى الطالب في المدرسة أو القاضي

و بين المدينة و دسا كر القرى مقايضة تحدث باحتفال عام كل شهر فيأخذ الفلاحون ما يحتاجون اليه من صناعة أهل المدن ويأخذ أهل المدن ما يحتاجون اليه من غلات الريف . ولا بد أن لهذه المقايضة نظاماً ولكن هيتووداي لم يذكر هذا النظام

ومدينة مؤلفة من عائلات والصناعة كما قلنا تمارسها العائلة لا الفرد . قال هيتووداي : « كل مدينة مقسمة الى أربعة أقسام وفي وسط كل قسم سوق فما تحضره العائلات من مصنوعاتها يؤخذ ويصف كل الى نوعه في أمكة خاصة ثم يذهب الآباء ويأخذون حاجاتهم من هذه الاشياء بدون أن يدفعوا ثمنه أو يضعوا شيئاً بدلًا منه على سبيل المقايضة .

وليس هناك ما يدعى الى أن ينكر على أحد طلبه وذلك لوفرة ما هو معرض من هذه الاشياء ولأنه لا خوف من ان أحداً يأخذ أكثر من حاجته اذ ليس هناك ما يغيريه بذلك لأنه متأكلاً كمن وجود هذه الاشياء على الدوام »

ثم يقول : « ان خوف الحاجة هو الذي يوجد التهم والطمع في نفوس الحيوان ولكن الى جانب الخوف نجد عند الانسان خصلة أخرى هي الكبراء حيث يتوهم الانسان أن تفوقه على غيره في الاباهة مما يزيد في مجده وعظمته . ولكن ليس أحد يسعه أن يفعل ذلك في الجزيرة »

فتوماس مور لا يحلم بشيوعية النساء كما حلم افلاطون . ولكنه يحلم بشيوعية الاملاك وهو لكي يتحقق هذه الشيوعية يلغى التقويد . فالناس يأخذون حاجاتهم بدون مُنْ و في كل عام يجتمع القضاة ( وهم المحكماء أيضاً ) في العاصمة « أموروط » فينظرون في غلات كل منطقة ويرسلون الى المناطق المحتاجة الى بعض السلع ما يحتاج اليه من فائض المناطق الأخرى

وليس للذهب أو الفضة أو الجوادر قيمة عند أهل الجزيرة وذلك فالرؤيا كما يراها توماس مور لا تقاوم الى رؤيا يوحنا من حيث الزينة واللآلئ مع أن الاولى يقصد تحقيقها

في هذا العالم والثانية لا تتحقق الا في السماء . وغريب أن يدعو رجل الدنيا الى مملكت خلو من الزينة والجواهر في حين يدعو اليها رجل الدين في مملكت السموات

أما امور وطن عاصمة الجزيرة فتقع على تل وحولها سور وإنمازل مشيدة على نسق واحد حتى كأن الشارع بناء واحد . وسعة الشارع عشرون قدمًا ووراء كل منزل حديقة يعني السكان بها ويعهدونها حتى تبقى في نضارة دائمة . وفي كل شارع قاعات خاصة مبنية على مسافات متساوية يقيم فيها القضاة (الحكام) وكل منهم ينظر في شؤون ثلاثين عائلة نصفها في جانب من الشارع والنصف الآخر في الجانب الآخر

وفي هذه القاعات يتناول جميع السكان غذائهم . ويقوم بطهي الطعام نساء الثلاثين العائلة بالتناوب . والى جانب هذه القاعة معبد ومكان آخر للعب الاطفال الذين تأتي أمهاتهم للطبخ في نوبتها

وللننظر الان في حكومة هذه الجزيرة . فالعائلة هي أساس الهيئة الاجتماعية وكل ٣ عائلة تختار كل عام قاضياً ولكل عشرة قضاة رئيس . وجميع قضاة الجزيرة الذين يبلغون ٢٠٠ يختارون أميراً وتكون أمارته مدى حياته ما لا

يَتَّهِمُ بِمحاوَلَةِ استَعْبَادِ الْأَهَالِيِّ . وَلَكِنَّ يَمْنَعُ الْأَمِيرَ أَوْ غَيْرَهُ  
مِنْ محاوَلَةِ قلبِ نَظَامِ الْحَكُومَةِ يَعْرُضُ كُلَّ مَشْرُوعٍ عَلَى  
جَمِيعِ السُّكَّانِ . فَإِنَّ الْقَاضِيَ يَعْرُضُهُ عَلَى العَائِلَاتِ اثْلَاثِينَ  
الدَاخِلِينَ فِي اخْتِصَاصِهِ ثُمَّ يَتَنَاقِشُونَ فِيهِ وَيَرْفَعُ هُوَ قَرَارُهُ إِلَى  
مَجْلِسِ الشِّيُوخِ

وَالْعَائِلَةَ كَمَا رأَيْتَ لَيْسَ وَحْدَةً بَيْتِيَّةً فَفَقَطَ بَلْ هِيَ إِيْضًا  
وَحْدَةً صَنَاعِيَّةً فَإِذَا صَارَتْ قَاعِدَةً لِلْإِنتَخَابِ ضَمِّنَ النَّظَامِ  
الْدِيمُقْرَاطِيِّ لِلْحَكُومَةِ وَضَمِّنَ بِذَلِكَ بَقَاؤُهَا

وَلَكِنَّ فِي هَذَا الْحَلْمِ أَشْيَاءٌ جَدِيرَةً بِالْإِنْتَقَادِ لَمْ يَسْتَطِعْ  
تُوْمَاسُ مُورُ أَنْ يَخْرُجَ فِيهَا عَنْ حُكْمِ بَيْسِتَهُ . فَلَمْ يَدْرِكْ مُثْلًا أَنَّ  
تَكَلُّرَ السُّكَّانِ مَعَ الْعِنَاهِيَّةِ بِصَحةِ الْأَهَالِيِّ وَتَوَافُرِ الْغَذَاءِ لَهُمْ  
سَيُؤْدِي حَتَّى إِلَى أَنْ يَفْيِضُ السُّكَّانُ عَلَى طَعَامِهِمْ وَإِلَى إِيجَادِ  
الْفَاقَةِ بَيْنَ جَمِيعِ السُّكَّانِ . وَهَذِهِ غَلَطَةٌ يَعْذِرُ فِيهَا تُوْمَاسَ  
مُورَ فَإِنَّ الْوَفِيَّاتِ فِي عَهْدِهِ كَانَتْ كَثِيرَةً تَكَادُ تَعْدِلُ الْمُوَالِيدِ  
فَلَمْ يَكُنْ يَخْطُرْ بِيَالِ أحدٍ أَنْ يَتَخَيلَ مُثْلًا أَعْلَى لِلْهَيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ  
يَحْدُدُ فِيهِ عَدْدَ السُّكَّانِ . وَإِنْ كَانَ ذَكَاءُ افْلَاطُونَ قَدْ جَعَلَهُ  
يَحْسِبُ لَهُذَا الْاحْتَالَ وَيُوصِي بِقَتْلِ الْفَائِضِينَ مِنَ الْأَوْلَادِ  
وَيَظْهُرُ مِنْ مَسَائِلِ أَخْرَى عَالِجَهَا تُوْمَاسُ مُورُ أَنَّ مَسْتَوِيَّ  
الْمَثَلِ الْأَعْلَى عَنْهُ لَمْ يَكُنْ عَالِيًّا إِلَى الدَّرْجَةِ الَّتِي يَمْكُنُنَا أَنْ

تخيلها . ويظهر هذا خاصة في معالجته مسألة انتقال الاهالي  
من مكان لا آخر ومسألة الحرب

في مسألة الانتقال يحتم على كل فرد أن يحصل على  
جواز من أمير الجزيرة . فإذا غاب أكثر من يوم يجب عليه  
أن يمارس صناعته في المكان الذي انتقل إليه . وإذا وجد  
انسان يجول في مكان وليس معه جواز فإنه يعاقب فإذا  
عاود هذا الفعل عوامل معاملة العبيد . ويبدو للقارئ من  
معالجة توماس مور لهذه المسألة أنه لم يعن أقل عنانة بالتفكير  
الجدي فيها أو أنه أراد أن يحصل على عبيد لجزيرته فإنه وجد  
أن بين أعمال الناس التي يحتاجون إليها ما هو قدر في طبيعته  
لا يرضي بمزاولته أحد باختياره مثل ذبح البهائم وتنظيف  
الطرق وما إليها فخص العبيد بالقيام بهذه الأعمال وأوجد الرق  
باوهي الأسباب في نظام الهيئة الاجتماعية حتى يعيش أفرادها  
مزهين عن كل ما في مزاولته قذارة . ولكن نسي شيئاً  
آخر وهو أن معاشرة العبيد تؤثر في الآسياد . وإذا الف  
الاستبداد من السيد للعبد صار أيضاً مأولاً من الأمير للسيد  
أما الحرب فهو يحيطها على شروط منها الدفاع عن الأرض  
واضطهاد التجار الأجانب ومنع الامم من الهجرة إلى بلاد  
يمكن زراعتها أرضاً وليس من يزرعها من أهلها . ومن هذا

الشروط يرى القارئ أن توماس مور كان يكتب مستضيقاً  
بالحوادث التي جرت في عصره . فقد كانت أميركا حديثة  
العهد بالاكتشاف والهجرة إليها متصلة وكانت سفن التجارة  
يقبض عليها في المواني ويسلب ما فيها من السلع . ولكنه  
يؤلف الجيش بطريقة « يوجنية » فهو يصطفي أسوأ الرجال  
لتجنيدهم في الحرب حتى إذا قتلوا استفادت الأمة بفقدتهم على  
نحو ما يقلع الزارع الاعشاب الضارة من حقله

ولنتنظر الآن في شروط الزواج والدين . فأهل هذه  
الجزيرة يسمحون للعروسين بأن يرى كل منهما الآخر وهو  
عيان قبل الزواج . وللطلاق علتان الأولى الزنا . والثانية  
التواء أحد الزوجين على الآخر بحيث لا يمكن تقويمه . ومن  
ذني يحكم عليه بالرق ولا يمكن أن يتزوج رجلاً كان أم امرأة

هذا هو حلم توماس مور وليس يرى فيه القارئ فكرة  
مبتكرة أو خيالاً بعيداً ولكن وراء مقتراحاته كلها فكرة  
واحدة وهي أن يسيطر الإنسان على الممتلكات ويتمتع بها  
لا أن يكون هو نفسه عبداً لها يقضى حياته في جمعها  
وأخزانها ويجهد جهده في المحافظة عليها وحراستها ورعايتها  
يحسب بذلك أنه مالكها والحقيقة أنها هي التي تملكه  
وتحسره . وهو لذلك يلغى النقود لأنها وسيلة ادخار

الممتلكات . ويحتم على الجميع أن يستغلوا في الزراعة ولو بعض وقتهم حتى يشعر كل انسان انه منتج . ثم يحتم على كل انسان أن يصنع شيئاً ان لم يزرع . ثم يعرض جميع السلع على الناس يأخذون منها ما يشاءون لا يخشى أن أحداً سيعتبره اهلاً لشيء .

اما أوقات الفراغ وهي كثيرة فتقضى في طلب العلوم والآداب يحاول كل انسان أن يرقى ذهنه بما يقرؤه أو بما يناقش فيه اخوانه .

# اندريا وحلمه

وُلد سنة ١٥٨٦ ومات سنة ١٦٥٢

يوحنا فالنتين اندریا الماني و مسيحي ايضًا . و حلمه يراد به تحقيق المدينة المسيحية كما يتواهمها رجل مؤمن بهذه الديانة . ولكنـه مثل سائر رجال الدين يفيق كثيراً من حلمه فتغلب عليه لحـة الوعـظ الـديـني فـما يـزال يـعظ و يـعظ حـتـى يـأسـمـ اـنـقارـيـءـ و هو يـبدأ حـلـمه بـأنـ يـروـي لـلتـارـيـءـ رـحلـةـ لـهـ فـيـ الـبـحـرـ حيث تـتحـطمـ سـفـيـنـتـهـ عـلـىـ صـخـورـ جـزـيرـةـ هيـ مـسـرـحـ هـذـاـ حـلـمـ فقد كانـ بـهـذـهـ الجـزـيرـةـ مـدـيـنـةـ «ـ كـرـتـيانـوـ بـولـيسـ »ـ أوـ المـدـيـنـةـ المـسـيـحـيـةـ . فـاـذـاـ أـرـادـ أـنـ يـدـخـلـ هـذـهـ المـدـيـنـةـ اـمـتـحـنـهـ اـهـلـاـهـ أـوـلـاـ فيـ النـصـائـلـ وـ الـاخـلـاقـ وـ الـثـقـافـةـ . وـ لـمـ يـرـواـ فـيـ شـيـئـاـ مـنـاقـضـ أـذـنـواـ لـهـ بـالـدـخـولـ

والـيـكـ الـآنـ وـصـفـ هـذـهـ المـدـيـنـةـ : «ـ كـانـتـ فـيـ هـيـثـةـ مـرـبـعـ طـولـ جـانـبـهـ ٧٠٠ـ قـدـمـ وـهـيـ مـحـصـنـةـ بـأـربـعـةـ اـبـرـاجـ وـسـورـ .ـ فـهـيـ لـذـلـكـ تـطلـ عـلـىـ الـأـرـكـانـ الـأـرـبـعـةـ لـلـعـالـمـ .ـ وـالـبـيـوـتـ مـبـنـيـةـ عـلـىـ صـفـيـنـ .ـ وـلـكـنـكـ اـذـاـ حـسـبـتـ الـحـكـوـمـةـ وـالـخـازـنـ فـهـيـ أـرـبـعـةـ صـفـوـفـ .ـ وـلـيـسـ فـيـهـاـ سـوـىـ شـارـعـ وـاحـدـ وـسـوقـ وـاحـدـةـ وـلـكـنـهـاـ مـنـ الطـراـزـ الـأـوـلـ »ـ وـفـيـ وـسـطـ

المدينة معبد مستدير قطره مائة قدم . وفي جميع البيوت ثلاثة طوابق ولها كلها « بلكونات » متصلة . وتجد على وجه العموم : « ان البيوت يماثل بعضها بعضاً فليس هناك سرف أو قدر . والهواء النقي يجوس خلال البيوت كلها . وفي هذه المدينة يعيش اربعين ألف سكان في هدوء الاعمال الدينية والسلام » أما سائر الجزيرة فانها خاصة بالزراعة والمصانع

و « المدينة المسيحية » من حيث الصناعة منقسمة الى ثلاثة أقسام : واحد للصناعات الحفيفة التي لا تحتاج الى نار وآخر للصناعات التي لا تحتاج الى وقود وتبقى فيها النيران وآخر ايضاً لتربيه الحيوان والاعمال الريفية . والغرض من هذه القسمة ألا تؤدي هذه الصناعات الناس الساكنين بجوارها اذا كانت متفرقة في أنحاء المدينة بلا ضابط . والعامل الذين يشتغلون في هذه المصانع لا يساقون اليها سوق الانعام بل هم قد تعلموا قبل وحصلوا على « معرفة صحيحة المسائل العلمية » ونظريه صاحب الحلم في ضرورة هذه التربية العلمية للصانع هي : « انك اذا لم تحمل المادة بالتجربة واذا لم تستعرض عن نقص معلوماتك بتحسين آلاتك فلانك فائدة منك »

وهذه لحنة عجيبة من أندريا في رؤياه اذ يقول بفائدة

العلم للصناعة وبامكان تعليم الصانع وكلاهما غرض لم يتحقق في جميع الأقطار المتقدمة لأن بل من الناس من لا يؤمن بهما.  
واليك الآن وصفه للصناعة: «ان عملهم او «استعمال أذهانهم»  
- كما يقولون - هم هناك يجري على نمط خاص وجميع ما يصنع  
يحمل الى مخزن عمومي . ويأتي الصانع فياخذ من هذا المخزن  
كل ما يحتاج اليه لعمله في الأسبوع القادم . وذلك لأن المدينة  
في الحقيقة مصنع واحد متتنوع الصناعات . . . . و اذا كان  
بالمخزن كمية مدخلة كبيرة من المنتجات فان الصناع يؤذن  
لهم بالانطلاق من قيود العمل واستعمال أذهانهم فيما  
يشاءون . ولا يحمل النقود أحد من الناس وليس للنقود  
أية فائدة عندهم ومع ذلك فالمجتمعية خزانتها . والسكنى  
من هذا الاعتبار لهم ميزة المساواة ليس أحد منهم او فر مالا  
من غيره . واما يمتازون بقوه أذهانهم ويتفاضلون بأخلاقهم  
وصلاحهم . وعدد الساعات التي يستغلون فيها قليلة ومع  
ذلك فهم يتممون شيئاً كبيراً من الاعمال لانه من العار على  
أحد أن يأخذ من الراحة أكثر مما يؤذن له »

وهناك واجبات وطنية يؤديها السكان الى جانب  
صناعاتهم كالخفر والمحصاد وتعبيد الطرق والبناء وصرف  
أقدار المدينة الى مجاريها

أما التجارة الخارجية فليست في يد أفراد يشغلون  
لحسابهم بل هي في يد هيئة تعينها المدينة . وليس الغرض من  
هذه التجارة زيادة الثروة والربح بل مقايضةسائر الأقطار  
على ما عندهم من السلع التي لا تصنع في «المدينة المسيحية»  
وأساس هذا النظام عند اندريا هو العائلة المسيحية .  
فكل شاب يبلغ الرابعة والعشرين وكل فتاة تبلغ الخامسة  
عشرة يتزوجان ويولفان لها واولادها عائلة جديدة .  
وليس هناك ما يتکافه الزوجان حتى أثاث البيت الجديد  
تقدمه الحكومة بلا ثمن . وهذا الاثاث بسيط يمكن الزوجة  
أن تنظمه بأقل عناء ولذلك ليس في «المدينة المسيحية»  
خدم للبيوت . فالنساء متعلمات والزوج يساعد زوجته في  
عمل البيت ما عدا الخياطة والغسل . ثم هناك مطبخ عمومي  
يزود الزوجة بما تحتاج اليه من الطعام اذا لم تكن قد طبخت  
لنفسها

اما الاطفال فيبقون في رعاية الام الى السادسة من  
عمرهم وبعد ذلك يدخلون المدارس فيبقون في عنايتها الى  
سن الشباب . وفي هذه المدارس افضل العلمين . ويمكن  
الآباء أن يروا أبناءهم كلما شاءوا . وفي غير أوقات الدراسة  
يعمل التلاميذ عملاً يدوية ويتمرنون على الفنون والعلوم

كل يختار ما يميل اليه طبعه . أما أوقات الفراغ فتقتضي في رياضة الجسم . وفي مدارس « المدينة المسيحية » شيئاً جديراً باعتبارنا . أولها أن للمدرسة دستوراً فهي أشبه شيء بجمهورية صغيرة . والثاني أن المعلمين ينتقون من خيرة السكان حتى أن أعلى الوظائف في الدولة ليست مقفلة دونهم فهم ليسوا نبي وظيفة التعليم لنقص كفايتهم في تأدية الوظائف الأخرى . وعليك الآن ما يقوله عن تعليم التاريخ الطبيعي الذي ابتدأت مدارس مصر الثانوية أخيراً فقط في تعليمه : « يرى التاريخ الطبيعي هنا مرسوماً بالتفصيل على الجدران بأعظم مقدار من المهارة . فهيئه السماء ومناظر الأرض في مناطق مختلفة وشعوب الإنسان المختلفة وأمثلة الحيوان وهيئه الاحياء وصنوف الاحجار والجواهر كلها مرسومة ومسماة يتعلم منها الطلبة طبيعتها واوصافها . . . أو ليس من الحق أن معرفة أشياء هذه الأرض أسهل في الإيضاح اذا كانت هناك أمثلة توضح الى جانب دليل يساعد الذاكرة ؟ وذلك لأن العلم يجوز الى الذهن عن سبيل العين بأيسر مما يجوز اليه عن سبيل الاذن »

وقد قلنا ان المؤلف الماني فهو لذلك لا يترك صغيرة ولا كبيرة في هذه المدارس حتى يحصيها ، يصف معامل

الرياضة ومعامل الطبيعة والترشيح والصيدلة بدقة كأنه يحيي  
تراثاً ملائكي سيتحقق . وهو على جبه الالماني للعلوم لا يهم  
أمر الفنون فهو يقول : « امام معمل الصيدلة دكان وسيدة  
للفن التصويري وهو فن يلذ لاهل المدينة العناية به . لأن  
المدينة فضلاً عن أنها مزينة بصور ورسوم تمثل أشكال  
الارض المختلفة تستعمل الرسوم في هذه الدكاكن لتعليم  
الشباب وتبسيط هذا التعليم لهم . ثم ان صور العظام  
وتماثيلهم ترى في كل مكان وفيها كلها ما يبعث في الشباب  
عاطفة تقليد هؤلاء العظام في فضائلهم . . . »

ومعبد المدينة هو بالطبع أهم بنياتها يحوي من بدائع  
الفن ما لا يحويه غيره . ولكن أندر ما كان كما قلنا رجل دين  
وقد زار جنيف ووقع تحت تأثير كافن . فهو لذلك يجعل  
ال العبادة في المعبد اجبارية . والاجماعات العمومية تعقد في  
هذا المعبد كما أن المرازل (الكوميديات ) الدينية تمثل فيها  
والآن وقد ذكرنا شيئاً عن الصناعة والتعليم والعائلة  
فلنقل شيئاً عن الحكومة . في المدينة مجلس مؤلف من ٢٤  
عضوًا . والهيئة التنفيذية لهذا المجلس مؤلفة من ثلاثة أشخاص  
هم الوزير والقاضي ومدير التعليم . وأولهم يمثل ضمير الامة  
والثاني فهم والثالث الحقيقة . واليك ما يقول الان عن

عقاب المجرمين : «ان قضاة «المدينة المسيحية» يتبعون هذه العادة وهو أنهم يعاقبون بأقصى العقوبات تلك الجرائم التي تقع من انسان نحو الله . ثم يعاقبون بأقل قسوة تلك الجرائم التي تقع من أحد نحو الناس . وأخف ما يعاقب عليه أحد هو تلك الجرائم التي تقع بالاملاك . وأهل المدينة يكرهون اراقة الدماء وهم لذلك لا يستبيحون لانفسهم عقوبة الاعدام ... لأن كل انسان يمكنه أن يقتل ولكن لا يقدر على الاصلاح الا خير الناس »

# أُخْفَاتُ أَهْلِ الْأَمْرِ

اللورد يكون ( ولد سنة ١٥٦١ ومات سنة ١٦٢٦ )  
وتوماسو كامبانيلا ( ولد سنة ١٥٦٨ ومات سنة ١٦٢٦ )

يكون وكامبانيلا كلها مشهور بحلمه وأولها أنجلزي وثانيةها إيطالي ولكنك اذا تفحصت أحلامهما عن المثل الأعلى للبنية الاجتماعية الفيت هذه الأحلام أضغاثاً مجموعه من تلك الرؤى الرائعة التي ألمهمها مور وأفلاطون من قبلهما مع زيادات طفيفة تدلنا على روح الزمن الذي وضع فيه هذان المؤلفان كتابيهما

فكمبانيلا يحلم بما يسميه « مدينة الشمس » وهي وراء خط الاستواء . وهي لا تختلف عن جمهورية أفلاطون من حيث شيوعية النساء وشيوعية الاملاك . وإنما نجد في كامبانيلا بعض عبارات تنبئ بالقرنين الثامن عشر والتاسع عشر . فهو يقول مثلاً ان عند سكان مدينة الشمس « زوارق تسير على الماء لا بقوة الريح ولا بقوة الحاذيف وإنما باختراع عجيب » ثم ان احد سكان المدينة يحدثه فيقول آه . لو أنك تسمع ما يقوله المنجمون عندنا عن الازمنة القادمة نسيكون في القرن الواحد منها من التاريخ أكثر مما

في أربعة آلاف سنة ماضية . أجل ستكون فيها اختراعات الطباعة العجيبة والمدافع وال magna لـ . . . » ولما كانت اختراعات كثيرة في « مدينة الشمس » وسائرة في طريق النجاح فان أهل المدينة ليوا في حاجة الى استعمال الرقيق . ثم « هم أغنياء لا يحتاجون الى شيء . وفقراء لأنهم لا يملكون شيئاً . وعلى ذلك فهم ليسوا عبیداً للظروف وانما هم أنفسهم يستخدمون هذه الظروف »

ففي هذا الكلام ايما الى المستقبل الذي كان يحس به كامبانيا . فقد بدأ ضمير الانسان يستيقظ في زمنه ويتسائل : هل ما أقرته الألة القديمة من الرق جدير بان يقره الانسان الجديد ؟ وهل لا تقوم اختراعات يوماً ما بعمل الانسان بحيث تزول عنه لعنة آدم أو توشك ؟ ثم يحب كامبانيا بالايحاب ويلغى الرق ويقصر العمل الذي يحتاج اليه الناس الى أربع ساعات فقط وذلك لأنهم كلهم يستغلون ولأن اختراعات توفر لهم وقتهم

وأحلامنا على وجه العموم تبع مزاجنا ومؤلفنا . وعلى ذلك نقول انه لما كان مور وأندريا متزوجين لكل منهما عائلة كانت العائلة أساساً من أسس الهيئة الاجتماعية التي تخيلها كل منهما . ثم لما كان افلاطون وكامبانيا أعززین كانت

شيوعية النساء أحد أركان الهيئة الاجتماعية التي رآها كل منها في رؤياه . فالإنسان يتخيل وفق طبعه ومؤلفه . ولكن يجب أن تقول إن أفلاطون نفسه مع أنه كان أعزب لم يكن يؤمن بكل الإيمان بشيوعية النساء . وإنما هو قصر هذه الشيوعية على الطبقتين السائدتين . أما طبقة المزارعين والصناع وهم بالطبع جمهور المدينة أو الامة فانه لم يقل بشيوعية النساء بضمهم مما يدل على انه كان يدرك أن الزواج الذي يؤسس العائلة ضرورة لكثرة الامة . وهو في حرماته رجال طبقة الأوصياء وطبقة المقاتلة من الزوج وتأسيس العائلة إنما ينقاد إلى تلك الفكرة التي تقول باستحالة خدمة غرضين . وهي الفكرة التي أوجدت الرهبان وهي التي تحول رجل الفن يمتنع أحياناً كثيرة لمصلحة فنه عن الزواج . فكما ان الراهب المسيحي لا يتزوج ارصاداً لنفسه على خدمة الدين ووقفاً لمواهبه على العبادة كذلك كان يرغب أفلاطون في أن يرى الوصي أعزب يقف كل جهوده على مصلحة الامة لا على زوجته وأولاده . فالقاعدة عند أفلاطون هي الزواج أما الاستثناء فهو الاباحية المقيدة

\* \* \*

ولننظر الآن في يكون وأضفاث أحلامه . فقد رأينا

ان كامبانيا لا لم يأت بطائل وكذلك الحال في يكون بل خيال ي يكون مقصوص الجناح اذا قيس الى خيال كامبانيا لا . ثم في جناحه ريش مستعار اكتر مما في جناح كامبانيا لا . وكثير من هذا الريش المستعار قد رأيناه على أصله في خيال اندر يا وفي رؤيا افلاطون . فلا حاجة الى التكرار

وأهم ما في رؤيا ي يكون هو « بيت سليمان » وهو مؤسس أشبه شيء بالسلكليات الغاية منه « معرفة علة الحركة في الأشياء وأسرارها وتوسيع سلطة الانسان حتى لا يعجز عن عمل أي شيء ممكن » وفي هذا المؤسس معامل أو مختبرات محفورة في جوانب التلال ومرادص يبلغ ارتفاع أبراجها نصف ميل . وفيها برك من الماء الملح والماء العذب ييدو من أقوال ي يكون انه يريد منها أن تكون مختبراً ل التربية الاسماك وسائل الاحياء المائية . ثم فيها آلات تدير الاشياء . ثم هناك أيضاً مصح لتجربة الادوية وقاعات كبيرة لعرض التجارب الطبيعية ومراكم زراعية كبيرة لعمل التجارب في التطعيم . ثم المعامل الصيدلية والصناعية ومعامل أخرى بعمل الاختبارات في الصوت والضوء والطيوب والطعوم . فهذه كلها يقول ي يكون انها في « بيت سليمان » ويجمعها ركاماً مشوشة بلا تنسيق أشبه شيء بالمذكّرات منها بالرؤيا المرتبة .

ومن هذه الكلية أو « بيت سليمان » يخرج اثنا عشر عالماً الى البلاد الاجنبية للسياحة وجلب الكتب الغريبة وكتابه التقارير عن المخترعات والأشياء العجيبة التي يروها في سياحاتهم . وهذه الكلية هي أهم شيء في مدينة بيكون التي يسمى بها « اتلانتيس الجديدة » وسائل ما في هذه المدينة لا يختلف عما رأينا في افلاطون وأندريا

وهذه الكلية كما وصفها بيكون هي الحلم الذي لا يزال يحلم به لأن علماء الكليات وقد ألوشك أن يتحقق بعضه مثلاً في « مؤسس روكييلر » في الولايات المتحدة . وهو يدلنا على هموم بيكون وأنها كانت هموم رجل عالم جدير بأن يكون أحد أركان النهضة الاوربية . فهو القائل بالعقل بدل النقل يريد أن يبني الحقائق على التجربة والاختبار وأن يعي قوى الإنسان الى ترقية العلوم والمعارف ويحشد لهذا الترقية جميع الكفاءات التي في الامة . ثم هو لا يترك فرعاً من فروع المعرفة الإنسانية صناعة كان أو زراعة أو طبًا أو غير ذلك الا ويهيئ له وسائل التجربة والاختبار الذي عليه تبني أصول هذا العلم أو الفن . ومع ما في رؤياه من التشوش والخلط فإنه قد رسم لنا ترسيمًا يوشك أن يكون كاملاً عن كلية يقصد منها تقديم العلوم وترقية المعرف

# عصر الصناعة وأعلامه

يتسم القرنان الثامن عشر والتاسع عشر بظهور المخترعات الصناعية ووفرتها . ولو قياس هذه المخترعات في هذه المدة القصيرة الى مخترعات الانسان الآلية منذ خمسين الف سنة لأربت عليها ان لم يكن في الفائدة ففي تعدد اصنافها وتنوع أعمالها . وهذه الكثرة وحدها كانت من الدواعي القوية الى ان يفكر الانسان في مستقبل الآلات وان يرجو منها ان تقوم مقام العامل نفسه وتتوفر عليه راحته . ثم كان من ظهور الآلات واقبال الناس على الصناعة ان انتقلت الثروات الضخمة من البيوت القديمة الى افراد محدثين فحدث من هذا الانتقال تززع في الهيئة الاجتماعية لعدم انطباق الجديد على القديم وانتهى الحال الى الثورة الفرنسية . وليست الثورات في الحقيقة الا محاولة عنيفة لاصلاح القديم الذي يتنافر مع الجديد فان لم ينفع الاصلاح فان التأثير يعمد الى الهدم . وكل هذه الاحوال تربة صالحة لان يغرس فيها رجل مثل الاعلى ما يتوصمه من هيئة اجتماعية وما يحمل به من اصلاح .

وقد سبق ان قلنا ان الانسان ازاء الوسط الذي يعيش فيه ويشعر بفساده او ثقل أنظمته احد ثلاثة . فهو اما أن يفر منه ويتحول عنه الى وسط آخر يوافقه . واما ان يدافنه ويختفي منه . واما ان يهاجمه متعمداً ابداً

ونحن اذا نظرنا الى رجال القرن الثامن عشر الفينام من الصنف الاول يبغون الهروب . فقد تعاظم بهم الفساد فارروا تركه على معالجته . ففيهم جميعهم روح روبنسون كروزو يرضى بحال البداوة الساذحة في جزيرة قصبة ويعيش منفرداً له كفافه من العيش يؤثر هذه الحالة على حضارة المدن وما فيها من ترف وتكلف وعجیب . فجان جاك روسو مثلاً يؤلف الكتاب عن فساد الحضارة وما في انتشار العلوم والآداب من الاذى للناس ويصبح بالناس ان عودوا الى الطبيعة . ثم هناك شاتوبريان لا يرى الجمال والجلال الا في ذلك « المتواхش النبيل » الذي يعيش على الفطرة في بادية اميركا ثم يفحص نفسه فاذا به هو نفسه ذلك « المتواхش النبيل » الذي يهوى الهروب من الحضارة . ثم هناك برناردين سان بيير قد اشحأزت نفسه من الحضارة وتكليفها فلم يجد مسرحاً يمثل عليه خياله عن السعادة الا في أقصى جنوب افريقيا حيث الطبيعة لم تزل بكرأً حتى سعادة الحب ووساؤس

الغرام تدب في الجسم مفاجئة فلا يدرها الشاب وتخطئها الفتاة لأنهما من بذلة العيش بحيث يغمرها الجهل والسذاجة وكلاهما أساس السعادة في رأي هذا الفار من مكافحة الحضارة

والنرزع إلى الطبيعة وسذاجتها وإلى البداوة وحريتها هو ردة في نفس كل إنسان . ونحن أكثر ما نكون شعوراً بقوة هذه الردة عندما تكتثر علينا تكاليف الحضارة . ولو كان كل رجال المثل العليا من طينة هؤلاء « الرهبان » الذين يفرون من مواجهة الحقائق بتوهم فردوس لا يمكن تحقيقه لما تعنينا في سرد أحلامهم . فاما نحن نعني هنا باولئك المكافحين المهاجمين الذين يرسمون لنا بناء حضارة جديدة كاملة او شبه كاملة غير تلك التي يعيشون فيها

واذا عدت « طوبيات » الفلاسفة أو احلامهم التي تخيلوا فيها من النظم ما هو أرق مما لديهم لكن ثلث هذه « الطوبيات » ينسبان إلى القرن التاسع عشر . والثلث الباقي إلى سائر القرون . وإنما ذلك لكثره مختارات هذا القرن وانتشار الصناعة فيه واحتلال التوازن في هيشه الاجتماعية اختلالاً فادحاً واضحاً وظهور طبقة من الناس تستبد بالعمال

وستتأثر باتربيع العظيم ولا ترخص لهم الا باليسير الذي يقوم  
بكتافهم او باقل منه

فقد كانت الصناعة قبل ظهور الآلات في ايدي صناع  
يشتغلون باليديهم . فالخذاء يشتري آلاته باقل الامان وينتحي  
ناحية من المدينة يفتح فيها دكاناً فيصنع الاخذية ويبيعها  
بنفسه . يفعل ذلك كله وهو راض عن نفسه وعن حكومته  
وعن الحضارة التي هيأت له هذا النظام . ولكن ظهرت بعد  
ذلك الآلات فصارت تصنع آلاف الاخذية في وقت قصير  
وغمرت السوق ببضائعها حتى لا تكاد تتسع لما يصنعه ذلك  
الخذاء البسيط . فهي تدفعه الى ان يكون عاملًا في ذلك  
المصنع الكبير الذي يصنع اشياء بالآلاف . وقل مثل ذلك  
في سائر الصناعات . فان الصناع الذين يصنعون بضائعهم  
باليديهم قد استحالوا عملا لا رأس مال لهم يطرد هم العمل عند  
تكدس بضائعه وينزل أجورهم الى أحط قيمة تضمنها مزاحمة  
العمال ببعضهم البعض . وينتج عن ذلك كله ان يبقى العمال في  
فقر مدقع وان يرى اصحاب المعامل اثراً فاحشاً وان يدعوه  
هذا التفاوت بين الحظين الى تدمير العمال والى ظهور الحركات  
الاشراكية . وليس غريباً أن تظهر لفظة (S. si ism)  
الاشراكية ) حوالي سنة ١٨٢٥ . وليس النظام الاشتراكي

سوى « طبى » يتمنى العمال تحقيقها في مقتبل الايام . فهى الان امنيةهم وحلمهم ولكن ييدو من تصفح الاحوال السياسية في الامم الغربية انهم صابرون الى تحقيق هذه الطوبى او ما يشبهها . ومعظم الطوبويين او رجال المثل العليا في القرن التاسع عشر هم او اكثربهم لهذا السبب من الاشتراكيين . فهؤلاء الاشتراكيون يرون : تقدم الآلات والمقادير العظيمة التي تنتجهما من البضائع فيتساءلون : لم لا تملك الامة هذه الآلات وتصنع بها ما يكفى الناس من الملابس ؟ ولم لا تستعمل هذه الآلات في الزراعة فيتوافق الفلاح وقته ليقضي منه ما يشاء في تربية نفسه والترفيه عنها ؟ ولم يربح الممولون كل هذه الاموال التي يغطيا عليهم الحديد والنار او ليس من العدل ان تكون المخترعات شائعة يستغلها كل افراد الامة في شخص الحكومة ؟

واول رؤيا نصفها من رؤى القرن التاسع هي رؤيا شارل فوريه ( ولد سنة ١٧٧٢ وهلك سنة ١٨٣٧ ) وهو من زعماء الاشتراكية في فرنسا . فقد رأى فوريه فيما يرى اليقظان ان جماعة يبلغ عددها نحو ١٦٠٠ نفس تعيش معاً يقوم اعضاؤها بجميع حاجاتهم . والامة التي منها هندة الجماعة مقسمة جماعات على هذا النط كل منها تكفل بحاجاتها دون

الاتجاء الى جماعة اخرى . وللإنسان في رأي فوريه شخصية مثلثة « فهو صناعي يبغي المؤلفة بينه وبين الوسط الذي يعيش فيه بالصناعة . وهو اجتماعي يبغي المؤلفة بينه وبين الجماعة التي ينتمي اليها . وهو ذهني يحتاج الى كشف النوميس التي تعمل لنظام هذا الكون » وهو لهذه الشخصية المثلثة يضم جماعته المكونة من ١٦٠٠ نفس في بقعة مختلفة المناظر والتوابع فيها الجبل والنهر والغابة والسهل والمدينة . وصناعة الاهالي الاصلية هي الزراعة ولكن الاهالي مع ذلك يمارسون جميع الفنون والصناعات الاصغرى اذ أن كل جماعة مستقلة عن الاخرى

وفي وسط البقعة التي تقيم فيها الجماعة بناء « هو قصر كامل يقوم بمحاجات المجتمعين له ثلاثة أجنحة أحدها صناعي وأخر اجتماعي وأخر ذهني . في الاول المصانع وقاعاتها . وفي الاخير المكتبة والمجموعات العلمية والمتحفات وقاعات رجال الفن ونحو ذلك . اما الجناح الاجتماعي في الوسط وهو يحتوي قاعات الطعام والاستقبال والسمير . وفي أقصى القصر معبد المؤلفة الخسية وهو خاص بالرقص والغناء والموسيقى والشعر والرسم ونحو ذلك . وفي أقصى القصر من الناحية الاصغرى معبد الاتحاد الذي يحتفل فيه بالشعائر الالاتقة بالاتحاد

## الانسان بالكون . وهنا برج ومرصد به تلغراف الاتصال بسائر الجماعات »

وهذا البناء هو بالطبع المدينة كلها يعيش أهلها معاً لهم مطبخ واحد ومنذ الصغر يتعلم الاطفال كيفية الطبخ وهم يأكلون معاً وان كان من الممكن ان يتناول كل انسان طعامه بمفرده على عزلة . ولكل واحد من الجماعة مقدار معلوم من الطعام والغذاء والمسكن والملبس يتساوى فيه مع سائر افراد الجماعة بغض النظر عن العمل الذي يزاوله . ثم فوق ذلك له أن يحصل على امتيازات أخرى يخوله ايها ما له من الاسهم في شركة هذه الجماعة . فهنا تمييز بين العامل الجد والعامل الخامل وهذا ايضاً ترخيص بالامتلاك الفردي الى درجة ما . فالجماعة مساهمون يعيشون عيشة شيوعية يتساونون فيها كليهم ثم يمتاز منهم الحاصل على اسهم أكثر من غيره . ولكن هذا الامتياز قليل الاثر لأن الربح في النهاية بعد الانفاق على هذه العيشة يكون صغيراً لا يؤبه به . فهذا كما يرى القارئ شبه توفيق بين مبدأي الشيوعية والانفرادية والصناعات تمارس على نظام واسع اقتصاداً في النفقه كل عامل يختص بجزء من العمل حتى ينجز الكثير منه في القليل من الوقت . والجماعة تتجر مجتمعة كأنها هيئة واحدة

فتبع للجماعات الأخرى ما هي في غنى عنه وتوزع الارباح على اعضائها بنسبة ما لهم من الاسهم فيها على نحو ما تفعل الجماعات التعاونية الآن .

والمرأة في هذا النظام حرة تشغله كما يشتغل الرجال .  
ويرى فورييه ان الزواج لا يوافق هذه الحرية . ففي البناء مكان ل التربية الاطفال الرضع . وللجماعة جيش لا يعبأ للحرب وانما يسير لمكافحة الطبيعة لشق الاتهار وزرع الغابات وبناء الجسور وتجفيف الارض النازلة ونحو ذلك ويرى فورييه في ذلك مصرفاً لنشاط الشباب يقوم مقام الحروب

\* \* \*

يختلف روبرت اوين ( ١٧٧١ - ١٨٥٨ ) عن بعض من ذكرناهم من حيث انه لم يستسلم للخيال كل الاستسلام وانه قصد الى ايجاد هيئة اجتماعية تتيسر اقامتها . فقد عاشر هو نفسه بين عمال وأدار المصانع وعرف تلك العلاقة بين الآلة والانسان وامكان جعلها وسيلة للاصلاح او للافساد ولم يكتف بالكتابة والشرح بل عمد الى العمل فاسس جملة مصانع أجراها وفق آرائه بالاشراك مع بنتام المشرع الشهير .  
وانتهت تجربته العملية هذه بالاخفاق

ولما كان موضوع كتابنا هذا أحلام الفلسفه فاننا

لأنى من الرأى أن ندخل في شرح أعمال اوين وانما  
ذلك ناوه عرضاً لانه مشار اليه في الاشتراكية وكانت له هم  
بارزة في جميع حركات العمال وأثر عظيم في احلام من  
 جاءوا بعده

\* \* \*

ولننتقل الان الى خيالي مشهور هو جيمس بكنجهام  
( ١٧٨٦ - ١٨٥٥ ) عاش أكثر أيامه في الشرق وكان  
يمحرر عدة صحف انجليزية في الهند وكانت مع ذلك جوابه  
أفاق رحالة لا يستقر فزار عدة أقطار وهو ينظر ويتبصر ثم  
وضع كتاباً عن « الشرور الاهلية والعلاجات العملية  
ورسم بلدة انموذجية » وظهر هذا الكتاب في سنة  
الثورات التي شملت أوربا كلها تقريباً وهي سنة ١٨٤٨ .  
وفي هذا ما يدلنا على البواعث التي تتبعث هذه الاخيلة في  
عقول المفكرين

وما هي هذه البلدة الانموذجية ؟ هي بلدة تدعى فكتوريا  
يؤسسها أفراد مشتركون على طريقة الشركة المحدودة  
المسئولية ( ليمنتد ) وتحتوي هذه البلدة على جميع التحسينات  
الجديدة « من حيث الصنع والرسم وصرف الموارد  
والتهوية والبناء والماء والضوء وسائل المتعات » ومساحتها

ميل مربع وعدد سكانها لا يزيد على ١٠٠٠٠ نسمة . وعلى طرف المدينة تؤسس المصنع ومصوّعاتها ملك للشركة لا للافراد الذين يصنعنها . وحول المدينة ضيّعة تبلغ ١٠٠٠ فدان هي ملك للشركة أيضاً كما ان البيوت وسائر العقارات لا يملكونها الافراد وانما تملّكها الشركة . وهذه الشركة تستغل كل هذه الاشياء وتوزع الارباح على الافراد بنسبة ما لكل منهم من الاسهم فيها . ولا يجوز الاشتراك فيها الاحد ما لم يكتتب على الاقل بعشرين سهماً ويثبت حسن نيتها للمدينة ويكتتب على نفسه عهداً يشرط على نفسه فيه الامتناع عن تناول الخمور أو العقاقير أو التبغ

وسيكون بالمدينة مغـاـلـ ومتـابـخـ ومتـاطـعـمـ عمـومـيةـ . ومكان عمـومـيـ أـيـضـاـ لـتـرـيـةـ الـاطـفـالـ الرـضـعـ . ويكون التعـالـيمـ بالـمـجـانـ كـاـيـجـريـ فيـ الجـيـشـ . ولـنـ يـكـونـ بـالـمـدـيـنـةـ قـضـاـةـ وـمـحاـكـمـ وـانـماـ تـكـوـنـ هـنـاكـ شـرـائـعـ مـسـنـوـنةـ يـتـعـهـدـ الـاهـالـيـ بـالـسـيـرـ عـلـيـهـاـ . فـاـذـاـ حدـثـ اـخـتـارـ اـخـتـارـ المـخـالـفـانـ حـكـماـ لـيـفـصـلـ فـيـ خـلـافـهـمـ . وـالـاهـالـيـ يـتـعـهـدـونـ فـيـ جـمـلةـ مـاـ يـتـعـهـدـونـ بـهـ عـدـمـ الشـكـوىـ إـلـىـ الـمـحـاـكـمـ وـالـرـضاـ بـمـاـ يـحـكـمـ بـهـ الـحـكـمـ الـخـتـارـ . وـهـذـهـ التـعـهـدـاتـ ضـرـورـيـةـ لـأـنـ مـدـيـنـةـ فـكـتـورـياـ يـرـادـ اـقـامـتـهـاـ فـيـ وـسـطـ أـيـ دـوـلـةـ

فلا بد لذلك من هذه التزادات حتى تعيش مستقلة عما حولها  
في ادارتها وقضائيا

والمشروع الانجليزي أينما نظرت اليه . فهو عمل يُمكن  
اقامته في أي مكان فلا يجبر الناس عليه ولا هو في حاجة  
إلى أن تجرب به أمة باسرها اذ يكفي لنجاح المشروع أن يقوم  
به ١٠ ... ١٠ نفس . ويقول بكنجهام انه اذا تأسست مثل  
هذه الشركة ونجحت سارت سائر البلاد على طريقها .  
وهو في لبى كابري القاري <sup>٢</sup> شركة تعاون كبيرة تبيع الغلات  
بنفسها ثم تقسم الارباح على مساهميها

## من أحلام القرن التاسع عشر

أحلام القرن التاسع عشر كله وما يليه من ربع القرن العشرين هي كلها أحلام الآلات والعمال وكلها تتجه بالطبع ووجهة اشتراكية شأن جميع الأحلام الماضية . ولكنها تمتاز منها بالعنابة أكبر العنابة بالعمال وبجعل الآلات أساساً للهيئة الاجتماعية . وهاتان الميزتان كلتاها لم يكن افلاطون يعرفهما . فهو كما يذكر القاريء حذف من ذهنه مسألة الصناع والعمال ولم يبال بهم الا أقل المبالغة أما الآلات في زمانه فلم تكن لها من الخطورة والثر في الهيئة الاجتماعية ما يدعوه الى التفكير في شأنها . ولكن كل هذه الاحوال قد تغيرت في القرن التاسع عشر اذ هو يشتراك وقرتنا في انه عصر الآلات وعصر العمال مع

ومن أصحاب الاحلام المعدودين في القرن التاسع عشر آتين كابيه الذي ولد سنة الثورة الفرنسية ١٧٨٩ وتوفي عند بداية امبراطورية نابليون الثالث سنة ١٨٥٦ . فرأى في صباح أحد مردة التاريخ نابليون الكبير وعبر القرن التاسع عشر بشوراته الكبرى سنة ١٨٤٨ وبمحترعاته العديدة التي

هي في الحقيقة أبعد أثراً من الثورات في النظم الاجتماعية  
وميدان الحلم «ايكارية» وهي اقليم مقسم على طريقة  
الثورة الفرنسية الى أقسام اعشارية . فبها مائة مديرية تستوي  
كلها في المساحة وعدد السكان وكل من هذه المديريات  
ينقسم الى عشر مراكز متساوية أيضاً لا يراعي كايمه في  
ذلك اختلاف التمثيل من الجبل أو الوادي الجديب من  
الوادي الخصب فاما هو يقسم مملكته كأنها رسم على  
الورق ينزع هذه المزعة بقوة الثورة الفرنسية التي أسست  
الطريقة المترية . وفي وسط «ايكارية» تقوم مدينة «ايكاره»  
عاصمتها وهي أشبه شيء بباريس لها هرها أيضاً كما لباريس  
هر السين . والمدينة مستديرة يشقها هرها نصفين متساوين .  
ويقوم على الشطرين جداران مشيدان من الحجر لمنع انحرافهما  
وقد كري المهر حتى بعد قعره وحتى صارت بوآخر  
الاقيانوسات تمحور فيه وتنقل البضائع الى ايكاره ومنها .  
وبها خمسون شارعاً توازي المهر وخمسون أخرى تقطعه .  
وقد خاتمه الطريقة العشرية هنا لأن المدينة كما سبق قد كرنا  
مستديرة فكيف تتفق استعدادها ونظام هذه الشوارع  
والمدينة مقسمة الى ٦٠ حياً كل منها يحتوي على مدرسة  
ومستشفى ومعبد وجوانيت . والمدينة مبنية عمارات بكل

## عمارة ١٥ منزلًا تحيط بيستان عمومي

والقرى في اقليم «ايكارية» تشبه المدينة من حيث التخطيط والمؤلف مهموم بالعناية بالصحة وبالرفاهية في الشارع . فهاشي الناس الى جانبي الشوارع مظللة بالزجاج وكذلك المحطات (الليست هي الاآن كذلك ؟) أما الاصطبلات والمخازن والمستشفيات فتقع خارج القرية أو المدينة . وتقوم المصانع والمخازن على النهر أو الى السكك الحديدية لتسهيل النقل والاآن انتظر في النظام السائد الذي يجري عليه السكان كان أتين كايه مشبعاً بروح الزمن الذي عاش فيه . وكان نابليون يشمخ فيه كالمارد ولذلك بدأ كايه حلمه بأن تخيل « ايكار » أميراً مستبدًا يملي على الناس نظام حكومته فلا يخالفه أحد . وخير ما يوضح هذا النظام هو وصف حياة أحد السكان

بدأ الايكاري يومه في الساعة السادسة فيتناول فطوره في المطعم أو في المصنع . وقد قررت أوان الفطور لجنة من العلماء نظرت في قرارها الى صحة المفترين . وكأنى بك تشكي في هذا الطعام وهل يساغ على الرغم من قرار العلماء . وقد شرك بذلك كايه وأذن للسكان بأن يفطروا اكشاوا وآينا شاءوا . وإذا أفتر الايكاري قصد الى عمله فيشتغل في

الصيف ٧ ساعات وفي الشتاء ستّاً . ولمؤلف من أهل البلاد  
الباردة يرتاح إلى العمل في الصيف على عكس ما هو حاصل  
عندنا . وجميع أهالي إيكارية يعملون هذا العدد من الساعات  
بلا امتياز أحد من آخر

والحكومة هي صاحبة المصانع وهي التي تنظم وقت العمل  
ببل هي التي تملك أيضاً الحيوان والمركبات التي تنقل البضائع .  
فهي اشتراكية لا أغش فيها ومن هنا كانت « رحلة إلى  
إيكارية » من الكتب التي تداولتها أيدي العمال كثيراً  
منذ طبعته الأولى سنة ١٨٤٥ و كان هذا الكتاب ذاته في  
تشييع العمال في أوروبا بالتفكير الاشتراكي

وعندما يفرغ الإيكاري من عمله يخلع ملابسه . تلك  
الملابس التي قررتها « لجنة الملابس » على نحو ما تقرر إدارة  
الجيش ملابس الجنود . الواقع أن الإيكاريين جنود قد  
عيثوا للصناعة يحرقون عليهم نظام الجيش في جميع شؤونهم  
و قبل أن يولد الإيكاري تتلقى أمه دروساً في واجبات  
الامومة . فإذا بلغ الخامسة تناولته يد الحكومة بالتربيـة  
طبقاً ل برنامـج مـنتخب يتفق فيه جـميع شـباب الإـيكـارـيينـ إلى  
الـسـنةـ الثـامـنةـ عـشـرةـ لـلـذـكـورـ وـالـسـابـعـةـ عـشـرةـ الـلـانـاثـ وـعـنـدـئـذـ  
يـسـيرـ كـلـ شـابـ أوـ شـابـةـ فيـ درـاسـةـ خـاصـةـ توـافـقـ الصـنـاعـةـ التيـ

سيتتخذها فيما بعد . وهذه الصناعات محدودة معينة ترؤسها كلها لجنة تحصي عدد الصناع في جميع المصانع كل عام وتحصي مقدار البضائع الخزونة ثم تعين حاجتها الى عدد الصناع المطلوبين في كل صناعة وتأخذ من متخرجى المدارس من تحتاج اليهم من الفتيان والفتيات . والرجل يحال على المعاش اذا بلغ الخامسة والستين والمرأة اذا بلغت الخمسين

ولا يمكن الايكاري ان يتزوج قبل بلوغه العشرين . أما الفتاة فيمكنها ذلك عند بلوغها الثامنة عشرة . أما الحكومة فكانت في نشأتها استبدادية لأن كابيه تخيل « ايكار » شخصاً له اراده نابوليون وسلطانه يعمل للإصلاح . ولكن بعد موته صارت نيابية لكل مديرية مجلسها والاقليم كله مجلس منتخب من هذه المجالس وله هيئته التنفيذية التي تدير البلاد . والحكومة تصدر الصحف ولكن هذه الصحف مقصورة على اراد الاعمار دون ارتباء الآراء . لكي لا تكون منها ذريعة لثبت قدم الحكومة

ومن يقرأ « رحلة الى ايكاريا » ويرى كيف ابتدأت الحكومة مستبدة تضع يدها على جميع المصانع والمدارس . والصحف يشعر كأنه يقرأ تاريخ الشيوعية الحديثة في روسيا ... والحق أن الشيوعيين في روسيا يطبقون الان على الحياة حلم .

من أغرب احلام القرن التاسع عشر وفائدة هذه الاحلام  
أو عدمها رهين بنجاح روسيا في تحريرها الرائعة التي لا يعرف  
الملما مثيل في التاريخ

## ٣٠٠٠ سـ

حلم لادوارد بلامي (١٨٥٠ - ١٨٩٨)

كان أوين وكابيه كلاهما اشتراكي يتخيّل على يقظة  
وينحّل بتدبر ويقصد إلى التطبيق والعمل . وقد أنشأ كلّاً منهما  
مستعمرة لتجربة نظرياتهما وتحقيق خياليهما في إنجلترا  
وأميركا . وأخفق كلاهما

ولكن ادوارد بلامي لم يكن مثلهما . فقد كانا هما  
مصلحين يدرسان العمran وأحوال العمال والصناعات . أما  
بلامي فكان أدبياً أميراً ي اعتنق الاشتراكية فوضع قصته ::  
« نظرة إلى الوراء » يصف فيها العالم كما تخيله سنة الفين  
ويتقىد أحوالنا الراهنة في ضوء تلك السنة البعيدة وكل ذلك  
بلهجة أديب قد حذق فن القصص ولذلك لا تزال قصته  
شائعة . بين الجمبور الانجليزي والأميركي وخاصة بين  
أوساط العمال

وهو يبدأ قصته بأن أحداً نومه تنوّعاً مغناطيسياً فـ  
يستيقظ إلا في سنة ٢٠٠٠ . وكانت له قصة غرام مع آنسة  
سنة ١٨٨٧ وهو يصل غرامه القديم بحفيدهما سنة ٢٠٠٠ مما

لا شأن لنا في تفصيله لأن غايتنا هو وصف ما وضعيه لنا من  
الرسيمات للإصلاح

وم يصف بلامي شيئاً عظيماً الا من حيث الحجم أما  
من حيث المثانة فان بناءه أرك بناء وأكثره تداعياً . فاذا  
أنت قرأت القصة سما بك ادبهما الى خيال راق ورفعك  
قصدها العالي الى أسمى العواطف ولكنك اذا وقفت  
وتأملت شعرت كأن بلامي يصف لك مدينة كبيرة من  
ورق وان خيال افلاطون على ما به من سذاجة أمن دعائمه  
وأوثق نظاماً من هذا الحلم الذي يراه بلامي في ختام القرن  
العشرين . ولكنك مع ذلك تشعر بتلك الدوافع الشريفة  
التي بعثت بلامي على أن يتخيّل هذا الخيال . فهو يرغب في  
أن يرى هيئة اجتماعية يقعد فيها الفرد الى المائدة لكي ينعم  
بالطعام الفاخر ولا يرى انساناً واقفاً قريباً منه يحسده على  
نعميه ويتصور جوعاً . ويرغب في أن يرى اترية عامة  
والتعليم شامل الجميع لأن المجهول منظراً كريهاً ينعكس  
أثره على جميع أفراد الامة الذين يستوّرون من جهله ما لا  
قبل لهم بحمله . ويرغب في ان يحمل على عاتقه شيئاً من  
ذلك العبء الذي ينحصر به طائفة الزباليين والكناسين وغيرهم  
لان مثل هذه الاعمال أشق وأقدر من أن تحتملها طائفة

ووحدها ويرغب أيضاً في أن يستوي الناس في فرصة الآراء  
بحيث لا تكون الثروات من الصدف التي يصيّبها بعض  
الناس وينحطّها البعض الآخر . وهو فوق كل ذلك أديب  
ويرغب في ألا يتمّن الحب وألا تقف اعتبارات الجزار أو  
البقاء أو الخياط حجر عثرة في سبيل الحب المشمر بين فتى  
وفتاة يحجمان عن الزواج لأن الفتى لا يستطيع شراء كذا  
أو كذا مما تحتاج إليه الزوجة . ويرغب في حمل الناس على  
الحياة الساذجة وكفهم عن التكلف والتضنم فيجب أن  
تصارح الفتاة حبيبها بأنها تحبه ويجب أن تلبس ما تشاء من  
اللباس البسيط وأن تفضي إلى الناس بأرائها بدون أن تقيد  
يعرف جائز وحياة متکلف

وكل هذه الرغبات حسنة في ذاتها ولكن بلا مي  
يحيط بها عندما يريد تحقيقها في خياله . وهنا يجب أن تقف  
هنيهة لكي نتأمل في الفرق بين خيال أفلاطون وبين أخيلة  
هؤلاء الحالمين من أبناء القرن التاسع عشر . فأن أفلاطون  
لم يعن قليلاً أو كثيراً بالعمال بل تركهم على ما كانوا عليه .  
ولكن جميع فلاسفة القرن الماضي لم يفكروا في اصلاح  
المجتمعية الا وكانت مسألة العمال هي المقدمة على كل  
المسائل . وعبرة ذلك هي أن عدد العمال قد كثُر في هذا

القرن وصاروا هم جمارة الامة وكثرتها وهذا بخلاف الميئات  
الاجتماعية القديمة . وعلة ذلك تفشي الآلات وتمرير  
الثروات في أيدي قليلة وانهزام المالك الصغير أمام المالك  
الكبير . وهذا هو شأن بلاطي فانه يبدأ طوباه أو مثله  
الاعلى للوبيئة الاجتماعية بحل مسألة العمل فهو يقول : ان أهالي  
الولايات المتحدة كانوا في القرن التاسع عشر قد تدرّبوا  
على تنظيم أعمالهم بواسطة شركات كبيرة فما قارب أن يختتم  
هذا القرن حتى اندمجت هذه الشركات ادارة واحدة  
وصارت قسماً من الحكومة وصار عمال هذه الشركات  
جيشاً كبيراً يتتألف من شباب الامة جميعه وهم يستغلون  
كالجيش تسيطر عليه الحكومة ويجري عليه نظامها ويتناولون  
منها أجوره . والعمل في هذا الجيش الزامي كما هو في الحيوش  
العسكرية الحاضرة اذا تخرج الشاب من الكلية انتظم فيه  
ثلاث سنوات يؤدي فيها الاعمال الشاقة الوضيعة . فادا  
انتهت هذه المدة تقدم للشخص في احدى الصناعات او  
الفنون التي تعلن الحكومة عن حاجتها الى عمال لها . فيبقى  
في تعلم هذه الصناعة او الفن الى أن يبلغ الثلاثين  
ومدارس الحكومة المختلفة تؤهله للصناعة التي ينتقيها .  
وبعد ذلك يصير جندياً في جيش العمال العظيم الذي

تدبره الحكومة وكل عامل مهما كان عمله يتناول أجرًا  
يستوي فيه هو وغيره من العمال قدره ٨٠٠ جنيه في العام.  
لا يمتاز في ذلك عامل لنشاطه عن عامل آخر لكسله . وكل  
من لا يؤدي واجبه يعاقب . ولما كانت الاعمال تختلف من  
حيث الصعوبة والسهولة فان الحكومة تحترز من اقبال الناس  
على الاعمال السهلة وتجنبهم الصعبة بتقصير مدة العمل في  
هذه وإطالتها في تلك والأجر مع ذلك لا يختلف في كلا  
العملين ويحوز للعامل أن يستقيل ويحصل على معاش  
٤٠٠ جنيه في العام اذا بلغ الثالثة والثلاثين أو أن يبقى في  
عمله الى الخامسة والأربعين ويحصل عندئذ على الاستقالة  
معاش كامل قدره ٨٠٠ جنيه

ولكن في هذا الجيش ثغرة فإنه يلزم جميع الشباب  
بالعمل فيه ما عدا أولئك الذين ينتمون الى حرف المؤلف ..  
فإن التأليف والاختراع خارجان عن هذا النظام ويحوز للعام  
او المكتشف او الاديب أن يمارس صناعته حرًا كما هو  
الحال الان ويكتسب من الجمهور ما يشاء . ولا بد ان بلاطي  
وهو مؤلف قصصي قد عرف من أسرار صناعته ما يدعوه  
إلى عدم انشقة بالحكومة . لأن الحكومة بطبيعة وجودها  
تميل الى الجمود وبقاء الحال الحاضرة والخترة والمكتشف

والاديب كلهم تقضي صناعتهم شيئاً من الخروج على المألوف  
وهم بذلك لا يجدون في الحكومة بيئة صالحة تزكي فيها اذهانهم.  
ولترجع الان الى « جيش العمال » فنقول ان جميع  
الاعمال من انتاج واستفاد في حكومة سنة ٢٠٠٠ قد قسمت  
الى عشر مصالح كل مصلحة تضم الى حظيرتها دائرة من  
الصناعات المجاورة . ولكل صناعة قلم خاص به السجلات  
الخاصة بها وما يتوافر من الاجور فيها يؤثر في الآلات  
والابنية التي تحتاج اليها هذه الصناعة . وهذا القلم هو الذي  
يقرر أثمان السلع التي يصنعها ولكن لا يمكنه أن يستبدل لأن  
قانون الدولة يحظر الزيادة في الثمن الا ل بالنسبة معينة لما أنفق  
على السلعة

ويرؤس « جيش العمال » رئيس الولايات المتحدة الذي  
ينتخبه انتخاباً مباشرأً جميع السكان بعد استثناء جيش العمال .  
وذلك لمنع استبداد الجيش بالاهالي . ولكن يبقى ذرضاً .  
آخر وهو : هل يرضى هذا الجيش على كثراه بأن يعين له  
رئيس وليس له صوت في تعينه وهل يعمل هذا الرئيس  
شيئاً لزيادة رفاهية العمال وهو منتخب بهذه الكيفية ؟

وهناك شك في انه يمكن ادارة جيش كامل ليقوم بجميع  
الاعمال في امة كبيرة تبلغ نحو مائة مليون نفس . لأن هذه

الاشتراكية الحكومية بعيدة عن أن تتحقق في جميع الصناعات . واسنا في ذلك ننكر أن بعض الصناعات تنجح عن سبيل الاشتراكية الحكومية بل الاشتراكية البيروفراطية أكثر مما تنجح في يد الافراد كأنزى في السكك الحديدية المصرية : ولكن هناك من الصناعات ما لا يمكن ان ينجح الا اذا عولج على مقاييس صغيرة وفي ادارات محدودة المساحة ولكل بقعة شخصية تظهر في صناعاتها ولكل بيئة طابعها على الصانع الذي يمارس احدى صناعاتها . فالاشتراكية الحكومية لا تنجح في كل صناعة وهذا نشأ بين الاشتراكيين بالرأي الجديد القائل بالاشتراكية البلدية حيث تقوم البلديات بما تقوم به الافراد مستقلة في ذلك عن الحكومة

ولنلق نظرة الآن على الحياة الاجتماعية كما تخيلها بلامي فنجن نجد في طوباه طائفة كبيرة جداً من المتقاعدين الذين يعيشون عيشة الترف يجوبون آفاق العالم بفضل المعاش الكبير الذي يتناولونه أو يمارسون احدى الصناعات التي يهونها أو احدى الرياضيات . وهذا بلامي يعني عنانة كبيرة بالرياضة اذ يقول : « اذا كان الخبز أول حاجات الحياة فان الرياضة هي الحاجة الثانية »

ونجد طائفة كبيرة أخرى هي « جيش العمال » الذي

يقضي فيه الفرد ٢٤ عاماً وهو مرغم على العمل ارغاماً اذا  
تهاون فيه عوقب . وهذا في اعتقادنا ركن متداع من بناء  
المجتمع الاجتماعية عند بلامي . فان هذه المدة أطول من أن  
يتحملها انسان بالرضا

ولكل عائلة مسكنها ولكنها في غنى عن الطبخ لأن  
الكل طائفة أو جزء من حي من المدينة مطعم كبير فيه غرفة  
خاصة بكل عائلة . وفي المنزل أداة التلفون التي لا تستعمل  
للتalking فقط بل لسماع الانغامي لأن لها بوقاً يضخم الصوت  
فتقعد العائلة في ساعة معينة وتستمع لخطاب الوعاظ والساسة  
وأناشيد المغنيين . وقد لمح بلامي شيئاً من الراديو الذي  
يستعمل الآن في كل مكان في أوربا عند ما خطر بياله  
هذا الخاطر

## آلة من الأجلين

كنا نعرف ذلك الشاعر الألماني الجسم المترنسي  
الدهن هنريخ هيمنه كيف حکى عن نفسه أنه بدأ بالتحمس  
للمديمقراطية واندفع للدفاع عنها حتى اذا رأى أن الديمقراطية  
هي حكم الدهماء أو العامة عاد فانكف عن دفاعه وتقلص  
في نفسه واعتراض من حماسه السابقة فتوراً وخوفاً  
ولقد كان القرن الماضي عصر ظهور الديمقراطيات  
وهو ايضاً عصر فشل هذه الديمقراطيات . فقد كان  
الظن اولاً انه اذا صار الحكم لامة انتف الاستبداد وزال  
الظلم . ولكن ظهر من تجارب هذا القرن ان كثرة  
الامة اذا استقرت بعثات الحكم لم تضطلع بها . لهذا جنح  
أبناء القرن العشرين الى التفكير في إيجاد «آلة» للحكم  
ولن تنزل هذه الآلة من السماء وانما هي تستولد من الانسان  
على نحو ما حلم افلاطون بایجاد طبقة من الحكام تقف نفسها  
على النظر في مصالح المدينة دون أن تحتاج الى المبالغة  
بمصالحها ودون أن يكون لافرادها عائلات أو عقارات تشغلهما  
وكما كان القرن الماضي عصر ظهور الجمهوريات كان  
أيضاً عصر ظهور نظرية المطور التي أخذت منذ منتصفه

تماك على العقول مسالك التفكير وتصبغ النظريات والاحلام . والترسيمات العمرانية بصبغتها . وهذه النظرية تتلخص من الوجهة العمرانية في أنه يمكن ان يرتقي الانسان حتى يصير الهاً او سبر ماناً كما ارتقى الانسان في الماضي من حيوانات أدنى منه . وهذه النظرية من حيث عدد الداعين اليها واشراب النفوس بها انجلزية ولذلك ليس ما يدعوا الى أن تستغرب أن ثلاثة من كبار مفكري الانجليز قد حلموا بالجهاد للانتخاب صناعي يؤدي الى وجود طبقة راقية من الناس . ولا يكون رقيها مع ذلك رقياً في أحوال الوسط الذي تعيش فيه هذه الطبقة بل يكون في أجسامها وأذهانها

هكذا حلم شو ولكننا سنضطر الى تركه لانه لم يؤلف طوني كاملة وإنما ألقى جزاً عدداً مقتراحت . وهكذا حلم ولز وهدسون . وكلاهما مشبع الذهن بنظرية التطور . فقد بدأ ولز حياته الادبية بتأليف كتاب عن تشريح الارنب وهو الآن يؤلف عن الآلهة تخرج من جسم الانسان تقية ظاهرة من أدران الحيوان اما هدسون ( ١٨٦٠ - ١٩٢٤ ) فقد استأنف حياة جديدة للادب الانجليزي بأن فتح له باب الطبيعة على مصراعيه . فهو أديب من عشيرة الادباء الجديدة التي ستكثر في المستقبل ويتناول أدبها درس العلوم

كأنها فن من فنون الادب بل كأنها الادب كله . فهو يكتب  
لـك عن القطب والاسد والغراب والجبار والامهار والانسان  
وسائر ذلك الملوك العظيم الذي حرمنا منه أدباء العرب  
بتأليف الكلام استحساناً للجرس اللفظي ولبريق الكلمات  
والاستعارات

ولكن قبل ان نصف طوبى كل من ولز وهدسون  
يجب أن نلقي نظرة سريعة على طوبى أخرى من الطوبيات  
التي تولدت من القرن التاسع عشر نعني بها طوبى موريس  
لأنها أشبه بالقرن التاسع عشر منها بالقرن العشرين . وقد  
كان موريس اشتراكيًّا مذهب بهذا المذهب ليواعث فنية  
فإنه وجد ان النظام الاقتصادي الحاضر بما فيه من مزاحمة  
بسديدة يبعث الصانع على ان يصنع ارذل المصنوعات  
وأشخفها لكي يروجها في السوق . وان صاحب العمل  
يستغل عماله إلى أقصى حد فيعملون ساعات طويلة ويتناولون  
أجوراً قليلة ويعيشون بذلك أضنك عيشة وازاراها . وكان  
(هو في نفسه سري الذوق عظامي النزعة يلبس القميص  
الحريري ويصنع التزاويق المذهبية والحرروف الملمعة لاغلفة  
الكتب . فكانت نزعته الى الاشتراكية نزعة الرجل  
البار الذي رأكت نفسه وساخت حتى يربد أن يرب في مدینته

ما يراه في بيته من جمال وملعنة وسرور . ويجب أن يرى في  
سائر البشر ما يراه في نفسه من ثقافة وصحة ، يلبسون ما يلبسه  
من حرير ويعيشون كما يعيش في رفاهية بل في ترف . ومثل  
هذه النزعة تهيء الذهن لترسيم الرؤى الجميلة لو لا ما يشوب  
عقل الاشتراكي أو الشيوعي من القناعة بالاشتراكية والرضا  
باحلامها . لأن الاشتراكية منها قيل في مدحها تحتوي على  
فقائص أصلية فيها هي موضوع درس الاشتراكين الآن  
يدأ موريس ( ١٨٣٤ - ١٨٩٦ ) حلمه بأن يصف  
طوباه بأنهم جاءت عقب ثورات تطهرت فيها مما كان يلوث  
القرن التاسع عشر . فهو يرى ناساً يجمعون النقود كاً تجتمع  
التحف والعاديات لا للتعامل . ويرى النساء في صحة وعافية  
يخالفن فيها نساء القرن الماضي اللواتي كانت تنطبع عليهن آثار  
البطالة أو الجهد من ترهل أو نحول . والمعيشة ساذجة لأن  
الناس قد استغنووا عن جميع العروض التي كانوا يحتاجون  
إليها سابقاً للمنافسة والمنبهة لا للاحاجة الحقة .

وهم لذلك يعملون بلا كدح لأن حاجاتهم قد قلت حتى  
صار القليل من العمل يكفي لسدادها . وقد عادوا مع ميلهم  
إلى اتقان العمل إلى الصناعات اليدوية وليس معنى هذا انهم  
استغنووا عن الآلات ولكنهم عرفوا ان القماش المنسوج  
(٦)

باليد على مهل خير من ذلك المنسوج بالآلة اذ هو أمن منه  
وعليه من شخصية صانعه طابع خاص . وقل مثل ذلك في  
عدد كبير آخر من الصناعات . ثم ان الصانع الذي يعمل  
سلعة ما بيده يشرع فيها من البداية ويتم أجزاءها قطعة  
بعد قطعة حتى تتم بروى في عمله من اللذة ما ترى الا في تربية  
ابنها أو ما يرى المؤلف في تأليف كتاب أي انه يشعر في  
نفسه بلذة الخالق للشيء الجديد . بخلاف ما نرى في  
مصانعنا الكبرى الان حيث يختص كل عامل بجزء من  
العمل لا يتعداه يصنعه متكرهاً ولا يقبل عليه الا بمقدار  
ما يجذبه الاجر

ثم ان السذاجة التي اقتضت الرجوع الى الصناعات  
اليدوية والى تقليل الحاجات قد اقتضت أيضاً الغاء المدن  
الكبيرة والاستغناء عن المركبات والقطارات العظيمة لان كل  
بلدة تستنفذ ما تنتج وهي تنتج كل ما تحتاج اليه . ولم يبق  
من اطلال لندن العظيمة سوى بناء البرلمان الذي صار الان  
مخزناً لروث البهائم . والعامل قليل العمل ولكنه يستغل  
بوحى الفن فهو لا يصنع السلع للتجارة ولكنه يتلوق ويتجوّد  
فيها تجويـد صاحب الفن الملهـم . وتقول عبارة أخرى ان  
توماس مور تخيل مثله الاعلى في رجال كلامـهم عالم أو باحـث

أو طالب علم . أما ولهم موريس فانه تخيلهم رجال فن يقضون اكثرا وقتهم في تجميل مدنهم والتنوّق في تشيد منازلهم وصنع تماثيلهم وتحفthem

وليس في هذه الهيئة الاجتماعية حكومة سياسية أو ادارية من أي نوع كانت . وليس هناك قضاء . ولكن ليس معنى ذلك انه ليس بين هؤلاء الناس من لا يغضب او يحقد ومن لا ينتهي به الغضب والحقد الى ارتكاب الجرائم ففيهم من يفعل ذلك ولكنه لا يعاقب بل يترك لضميره والعار الذي يلتصق به امام الرأي العام . والجرائم قليلة لأن الخير وفيه فالجلتان كلها ليس فيها سوى نحو خمسة ملايين نفس بدلا من ثلاثين مليوناً يسكنونها الآن . و اذا قلل السكان وكثرت الخيرات انتفى شيء كثير من اسباب المزاع بين الناس وعندئذ لا يحتاجون الى الاستيقاظ الى المصانع الكبرى والمزاحم على الاعمال كما يجري بیننا الان

ويرى القارئ من هذه العجالة ان موريس يسرف في حسن الظن بالناس وان الشيوعية فيه تغلب على الاشتراكية فهو لا يبالي باليجاد قواعد للنظام ولا يفكر في حكومة . وعندئذ ان البلدة الصغيرة قادرة على ادارة جميع شؤونها بنفسها . و اذا نحن فرضنا أن ذلك ممكن ما دامت البلدة صغيرة لا يزيد

سكنها عن الف أو الفي نفس فهل يمكن أن يدوم هذا العدد  
كأن ليس بين النساء امرأة بلها تنسل كالارانب بدون  
أن تراعي مصلحة الجماعة أو كأن ليس بين البشر أدوات  
وافية تحتاج إلى نظام يكاد يشبه في قسوته الاحكام العرفية  
أو كأن ليس هناك نظام للتعليم أوفي من نظام آخر ويحتاج  
إلى تنفيذه إلى ما يشبه حكومة صغيرة

ولكن موريس رجل فن يريد قبل كل شيء أن يرى  
الجمال والمتانة في المساكن والمصنوعات وقد رأى من انتشار  
الآلات والمصانع الكبرى في القرن التاسع عشر ما أفسد  
عليه هذين الغرضين . فهو يكره القرن التاسع عشر بزعمته  
القوية إلى الاستفراد والمزاحة ويعني ما يقابل هذين المبدئين  
فيimmel بطبيعة إلى الشيوعية ويفرط في ميله إليها واستحسانه  
لها بقدر افراط الناس في ذلك القرن في اكتبار شأن الاستفراد

\* \* \*

ثم لننظر الآن إلى هدسون . ونحن في انتقالنا من  
موريس إلى هدسون نقفز قفزة كبيرة . فإن موريس من  
الارض عادي التفكير قد تكون شيوعية روسيا الحاضرة  
بعد تحويل طفيف شبيهة بحلمه ولا بد أن كتابه يعد الآن  
من الانجيل المقدسة . أما هدسون فإنه من السماء يتخطى

بناًآلاف السنين . فالقرن التاسع عشر أقرب من أن يلتفت  
إليه وشيوخية موريis أتفه من أن تشغله فهو ينظر إلى تطور  
الإنسان من الحيوان في الماضي ويود أن يستولد من هذا  
الإنسان آلة جديدة

والوحدة الاجتماعية لهذه الرؤيا هي بيت قروي كبير  
مؤلف من عشرات الغرف ولهذا البيت تاريخه القديم وأدابه  
وفنونه كأنه دولة صغيرة وله أيضاً شرائعاً التي يتبعها سكانه  
ويشهر على تنفيذها « أبو البيت » الأكبر وهو الذي يحكم  
عزل أحد الأفراد مثلاً لجريمة ما . وحول هذا البيت مزرعته  
وله كلابه وخ يوله التي قد تطورت فصارت تتفاهم مع الإنسان  
وتؤدي غرضه بيسراً اشاره . وهم يعيشون في هذا البيت  
كل منهم في غرفته ولكنهم لا يعرفون الزواج . وهم يقضون  
الشهوة الجنسية قضاء عقيماً غير مثمر . لأن وظيفة الأنمار  
خاصة بامرأة واحدة هي « يعقوب » البيت على نحو ماترى  
في كوارة النحل حيث تحكر الملكة أو يعقوب النحل  
وظيفة التناسل فيكون أبناء الجيل الجديد لها دون غيرها .  
فإذا قرر أفراد البيت انتقاء « الأم » عمدوا إلى أحدي  
فتياتهم فيضعونها في مكتبة خاصة حيث تعرف من الأشياء  
والأسرار ما لا يجوز أن يقف عليه غيرها من السكان .

ونحن نفهم بذلك أن السكان يختارونها لصفات وسمات  
بارزة فيها لا ترى في غيرها وان الاسرار التي تعرفها في  
المكتبة خاصة بقداسة وظيفة التناصل وانها يجب أن تنتقي  
أفضل الرجال ليكونوا آباء للجيل القادم . وان الكتب التي  
تقرؤها تخبرها عن صفات الفضل والنبل التي يجب أن تتوافر  
في الرجل حتى يحوز شرف الابوة لاحد افراد الجيل الآتي .  
وليس في هذه الكواردة الادمية من له حرمة هذه الام  
فهي تعيش بين اكرام الجميع لا مرد لكلماتها وهي تقضي  
حياتها في التناصل فتنجب للبيت نحو ٣٠ أو ٤٠ طفلا في  
حياتها حتى اذا ماتت اختيار غيرها لتأدية عملها . وهكذا  
يسير هذا البيت او هذه العائلة الكبيرة جيلا بعد جيل  
فتحذف منه الصفات السيئة وتنتقى وتخلد الصفات الحسنة  
لان « الام » قد درست موضوع التناصل والوراثة وعرفت  
أن واجبها أن ترفع بيتها درجة في سلم التطور . فكل من به  
نقص في الجمال أو الذكاء أو الصحة أو الاخلاق لا يكون  
له حظ الابوة وان كان له من النساء الاخريات ما يشبع فيه  
شهوة جسدية عقيمة . ونفهم من هذا النظام أن سكان  
البيت قد لا يزيدون عن ٨٠ أو ١٠٠ شخص ولكل منهم

## دويلة صغيرة فيها من يختص للعلوم أو للزراعة أو للفنون والصناعات الأخرى

وليس في هذا النظام ما يخالف الطبيعة البشرية كما يتواهم القارئ لأول وهلة . فان « العائلة » لا تزال موجودة بوجود الام التي هي صلة القرابة بين جميع السكان . ثم ان الاباء لا يعرفون لهم أباً معيناً فالمفعة الشخصية والاثرة الابوية متنافية وبذلك ينتفي التنازع بين افراد البيت . ثم ان الشهوة الجنسية غير مقيدة لأن جميع الافراد أن يتمتعوا بها بشرط ألا تعقب نسلا . وقد عرف الانسان نوعاً من هذا الزواج يدعى « الضمد » كان العرب يمارسونه وما زال يمارس في آسيا حيث يتزوج ثلاثة أو اربعة من الرجال ( يكونون في العادة اخوة ) امرأة واحدة وينسب الاولاد للآخر الاكبر

\* \* \*

ولنلق الان نظرة عاجلة على الطوبى الاخيرة طوبى ولز . وهي أحدث الطوبيات إذ نشرت سنة ١٩٠٦ . ولسنا ننسى طوبى أخرى أحدث منها عهداً وضعها برنارد شو في قالب دراما ولكنها لهذا السبب تستعصي على التلخيص . ولو لز كاتب طوبوي كثير الاخيلة والاحلام لا يخلو كتاب له

من مثل أعلى ينشد ثم يتخيله ثم يأخذ في تفصيله وبسط ما جل فيه وما دق كأنه يصف شيئاً محسوساً

وهو يتخييل طوباه في عالم آخر مثل عالمنا ولكنـه ليس منقساً أمماً وطوائف تتنافع للتوسيع والاستعمار اذ هو أمة واحدة لها حضارة واحدة تدير سـكـكـها الحديدية وبريدـها ادارـةـ عـامـةـ وـتـجـريـ عـلـيـهـ شـرـائـعـ عـامـةـ . ولـهـذاـ العـالـمـ تـارـيخـ يـشـبـهـ تـارـيخـ الـأـرـضـ وـلـكـنـهـ اـتـهـىـ بـشـورـةـ أوـثـورـاتـ أـحـدـثـ هـذـاـ النـظـامـ الجـديـدـ وـمحـتـ الحـدـودـ بـيـنـ الـاقـطـارـ الـقـديـمةـ .  
وـالـسـكـانـ يـسـتـعـمـلـونـ الـآـلـاتـ إـلـىـ اـقـسـىـ حدـ وـهـمـ فـنـوـنـهمـ لاـ يـنـظـرونـ لـلـوـرـاءـ فـلـسـتـ تـجـدـ فـيـ الـمـبـاـيـ طـرـازـ يـنـحـوـ نـحـواـ قـدـيـماـ أوـ يـوـمـيـ إـلـىـ حـضـارـةـ بـائـدـةـ . وـالـأـرـضـ وـسـائـرـ مـصـادـرـ الـثـروـةـ مـلـكـ شـائـعـ لـلـجـمـيعـ تـسـتـغـلـهـ الـهـيـئـاتـ الـمـحلـيةـ دـوـنـ الـافـرـادـ .  
وـمـنـ أـهـمـ مـاـ يـتـسـمـ بـهـ سـكـانـ هـذـاـ العـالـمـ اـنـ لـكـلـ فـردـ سـجـلاـ يـحـتـويـ عـلـيـ اـسـمـهـ وـرـقـهـ وـطـابـعـ أـصـبـعـهـ وـاسـمـاءـ الـاماـكـنـ اـنـ اـنـتـقـلـ فـيـهاـ . وـالـغـرـضـ مـنـ هـذـاـ السـجـلـ درـسـ اـحـوالـ الفـردـ وـكـفـاـيـاتـهـ فـيـ الـحـيـاةـ وـفـيـ الـورـاثـةـ لـأـمـهـاـ تـسـعـمـلـ بـعـدـ موـتهـ .  
وـيـنـقـسـمـ النـاسـ فـيـ هـذـاـ العـالـمـ أـرـبـعـ طـبقـاتـ وـهـمـ : الطـبـقةـ العـاـمـلـةـ الـذـيـنـ يـتـولـونـ الـادـارـةـ وـالـحـكـمـ . وـالـطـبـقـةـ الشـعـرـيـةـ وـتـأـلـفـ مـنـ رـجـالـ الـذـهـنـ الـذـيـنـ يـخـرـفـونـ التـفـكـيرـ وـالتـخـيـلـ .

ثم طبقة البلداء الذين يقومون بالاعمال الوضيعة . والرابعة هي طبقة المنحطين من مجرمين ومدمنين ونحو ذلك . وهؤلاء يمحذفون الى جزيرة خاصة منفردة حيث يعيشون ويمارسون رذائلهم كما تشتتهي نفوسهم بعيدين عن سائر الناس . وهم انا يبقون ويتناسلون بقدر ما فيهم من خير والا فمصيرهم الى الفناء وذلك لأن الرذيلة اذا مورست قلت صاحبها فهي بالنسبة للجماعة داء ودواء معًا لأنها تنفي عنها صاحبها

ولكن فوق هذه الطبقات الاربع طائفة اخرى تقوم بالتعليم والاصلاح وتحرس نظام العالم تشبه طبقة افلاطون المؤلفة من الحكماء . وهذه الطائفة تدعى طائفة السامراء . والسامرائي يختار بعد اختبار طويل تفحص فيه قواه العقلية والجسمية من شباب العالم الذي جاز الخامسة والعشرين . فيفرض عليه نظام في اللباس والطعام والرياضة . وفي كل عام يخرج السامرائي الى الغابة لا يحمل كتاباً او سلاحاً او قلماً او تقوداً وعليه ان يقتات من الغابة ويتأمل في خلوتها وقد زُوِّيت عنه جميع المتع الدنيوية ثم يعود بعد ذلك الى الدنيا وقد اكتسب من الطبيعة متأنة في الخلق وعافية في الجسم . ونظرة أوسع لمصالح العالم . وهؤلاء السامراء يسمعون كلامهم وتنفذ اراداتهم لا تخالفهم طبقة من الطبقات

الاربع . وهم اشبه شيء في نظامهم بطائفة اليسوعيين . فكما ان هؤلاء قد صحووا بعлад الدين وارتضوا النسك خدمة للمسيحية في عالمنا فكذلك يدخل السامرائي في طائفته مضحياً بكل شيء في العالم لكي يتفرغ لاصلاحه ودرس أمثل الوجوه التي ينبغي ان تسير عليها ادارته سواء اكانت في جماعة او عائلة

وليس في هذا المقترح شيء غريب لانه اذا كان في الدين من القوة ما يحث طائفة من الناس على ان تقبل النسك والاعتكاف في دير قصي تبعد فيه ولا تفكر في ولد يخالفها او ميرات تعقبه له فليس من الكبير على أبناء القرن العشرين أن تتألف بينهم « رهبانية » يكون غرضها خدمة الانسان بدلا من خدمة الآلهة

# الحقيقة بنت الوهم

اذا كانت الحقيقة هي بنت البحث فان البحث هو ايضاً  
ابن الوهم توهם أولاً ثم نبحث ثم نتحقق . نحمل بناء البيت  
وتوهنه في مخيلتنا قاماً مشيداً ثم نبحث عن مواده وأسبابه  
ثم نبنيه طبق توهمنا الاول . وما من ثورة أو انقلاب أو  
اصلاح توافرت أسبابها لامة ما إلا وكانت وهمًا يتوهنه قبلها  
أحد مفكريها

والقضية لا تنعكس فان كثيراً من اوهام العلماء  
واحلامهم ذهبت هباء إما لأنها كانت أضغاثاً وركاماً غير  
منسقة وإما لأنها جاءت قبل أو انها . ولستنا لو عرضنا  
طائفة من الانقلابات الحديثة لرأينا فيها أثر المثل العليا التي  
رآها الفلاسفة والمفكرون . وقد يظن القارئ لف्रط ما هو  
لاصق بالحقائق أن أثر هذه الاحلام ضعيف في هيئتنا  
الاجتماعية والحقيقة أنه كبير جداً بل هو اكبر في بعض  
الحالات مما كان يجب أن يكون . فلو أن الشيوعيين في روسيا  
مثلاً لم يستسلمو أكل الاستسلام لمن حلموا بالشيوعية مثل  
باقونين وكروبرتكيين وغيرهما لعدلوا بنظامهم الراهن عن  
كثير من تقواصه التي تقاد تهدمه من الاساس . ثم ليس

هناك شك في أن « عصبة الامم » ليست الا تحقيقاً حلم المسيحية في إيجاد السلام في العالم . وقد حلم نيتشه « بحكومة الولايات المتحدة الاوربية » ورأى ولز في طوباه حكومة عالمية يخضع لها العالم كله

واعتبر مثلاً تلك الثورة الاميركية التي انتهت بتأسيس الولايات المتحدة او تلك الثورة الفرنسية التي انتهت بمحو الملكية من فرنسا تجد انهما انما جاءتا عقب أحلام الفلسفه في فرنسا وأميركا عن الحرية والمساواة وسائر هذه الافكار التي لا يزال الناس للآن يجدون في سبيل تحقيقها

بل اعتبر التعليم العام والدعوة اليه فقد دعا اليه كثير من الفلاسفة وهو لا يزال للآن على الرغم من انتشار المدارس خيالاً أكثر مما هو حقيقة . وهنا في مسألة التعليم هذه يجب أن تقف لكي نرى شيئاً من فعل الخيال في النفس وسيطرته على العقل فان جميع من تخيلوا مثل العليا لم ينسوا أن يفكروا في التعليم وتعيممه كما أن الذين تشوفوا الى عهد المساواة ورجوا تحقيقه لم ينسوا أن يذكروا أن المساواة في فرصة التعليم هي ارقى ضروب المساواة وأعدتها . وكانت نتيجة ذلك انه لم ينتصف القرن التاسع عشر حتى كانت جميع الامم الاوربية قد رسمت في أذهان أبنائهما وجوب تعليم

التعليم . ولكن فرقاً بين خيال الفيلسوف ينضجه رأسه المثقف وبين الحقيقة تتناولها أيدي المتوسطين من الناس . فان التعليم الآن على عموميته في أوربا ومجانيته لا يزال صورة وقشراً أكثر منه حقيقة ولباً . اذ هو في الواقع الراهن لا يزيد عن ان يكون لعبة أدواتها الورق والقلم . فالصبيان يتعلمون شيئاً من الجغرافية على الورق وشيئاً من التاريخ على الورق وحساب البيع والشراء على الورق . والرسم ينقل من الورق الى الورق . والاشعار تحفظ من الورق وفي جميع البيوت أو اكثراها تجد ورقة مضموماً بعدها الى بعض تسمى الكتب يدعى كلنا ان فيها معلومات مفيدة . وقد نشأ من هذا التعليم ان كثر الورق حتى صرنا نقرأ عدة صحف من ورق كل يوم وصرنا نتعاضد من التمثيل مثل تمثيلاً آخر ينقل من ورق أو ما يشبه الورق الى ورق أو ما يشبهه . ولكن أولئك الفلاسفة الذين تخيلوا التعليم العام لم يعتقدوا قط ان هذه الثقافة الورقية هي نتيجة أحلامهم ، وهم لو سألهـم كيف يجب ان يعلم الرسم لا جابوك على الفور : في الحقل وفي الغابات وفي الاسواق وعند قطعان الغنم وامام بواسق الاشجار . ولو انت طلبت من ولز : كيف يجب ان نعلم الجغرافية او التاريخ لا جابك على الفور : وهل مثل هذا

السؤال يسأل وهل في العالم سبيل آخر الى تعلمها غير السياحة  
وهل من العدل ان يموت انسان في هذا العالم لم يعرف البحر  
او الجبل ما هما ؟ ولو أنت سألت احد الكيائين العظام :  
كيف نعلم صبياننا وشباننا الكيمياء لما تردد في الاجابة بان  
ذلك لا يكون بلا بوقة ونحو عشرين او ثلاثين اداة اخرى  
ولكن الساسة الذين يديرون شؤون الامم الان بغية  
حق يجدون ان التعليم بهذه الطرق يكافف الامة نفقات طائلة  
فهم لذلك يمسخون التعليم حتى يجعلوه جملة الاعيب مملة تصنع  
بقلم وورق ومداد . وهم يرون من السهل ان يقرأ الشاب في  
كتابه ان حيوان البحر هو كيت وكيت تكتب له انواعه  
قائمة كما تكتب قائمة الفنادق فيحفظها عن ظهر قلب لان  
هذا أيسر على رجل السياسة من ايجاد سمكة كبيرة تكافف  
في العام نحو عشرة آلاف جنيه . ومن السهل أيضاً أن يحفظ  
التلميذ درسه عن النبات من الورق وينقل رسومه بقلمه من  
ورق الكتاب الى ورق كناشه لان رجل السياسة الذي  
يدير حظوظ الامم الان بغية حق يجد ان تعلم التلميذ حياة  
النبات من الحقل والغابة يكافف الامة نفقات كبيرة يخشى  
ان هو طلبها من الامة أن تسقطه في الانتخاب فهو لذلك  
يؤثر لعبة القلم والورق

ولكن العلماء يعرفون أن التعليم الحقيقى هو أن يختك  
الانسان بالطبيعة ويلابسها ويعرف منها ما يريد أن يعرف  
مباشرة وانه خير للصبي أن تلسع أصبعه بالنار من أن يقال  
له ان النار تحرق . وان يوماً واحداً في الصحراء يقضيه على  
رملها ويستنشق هواءها ويحس ظمأها وتكتنفه بذاتها خير  
له من أن يقرأ آلاف الكتب عن علاقة البداوة بالحضارة  
وحياة النبات والحيوان في الصحاري

وليس من العدل أن تقول أن كل التعليم يجري الآن  
بواسطة القلم والورق . والحق أنه لو كان كذلك لما تقدم  
الطب ولا الهندسة . فلقد كان الطبيب العربي يقصر علمه في  
الامراض على ما تعلمه بالقلم والورق وكان الخلفاء يمنعون  
الاطباء من التشريح فبقي الطب لعبة سخيفة في أيدي  
المشعوذين . وكان علم القرون الوسطى يجري على هذا  
النحو ايضاً . فلما كانت التهضة الاوروبية الحديثة أخذ العلماء  
في هجزان علوم العلم والورق ولجأوا إلى الطبيعة فصاروا  
يشرحون النبات والحيوان ويجربون بأيديهم التجارب العلمية.  
ولكن هذا المجرى لم يتم فان معظم ثقافتنا الآن هي ثقافة  
الورق وهي لذلك لا تقترب بأذهاننا ذلك الاقتران الشرعي  
المنجب بل هي تخالل أذهاننا مخاللة عقيمة . فلو أنا مثلاً

كنا نعرف النبات باقسامه وأنواعه حيه ومتحجره لأمرت  
معرفتنا وأصبح كل منا أشبه شيء يكتشف أو مخترع في  
هذه المملكة العجيبة التي يصح أن يقال عنا فيها أنا نسمع  
عنها ولا زراها

وما يقال عن التعليم يمكن أن يقال مثله عن سائر  
الأشياء التي حلم بها الفلاسفة فأخذت قشورها العامة وتركوا  
لها . فان المدن الحاضرة وما فيها من نظام اكثره قائمه على  
وفرة مخترعات النقل يرجع الى أحلام الفلاسفة عن عصر  
الآلات الذي تنبأوا به . ولكن هؤلاء عندما كانوا  
يفكرن في اختراع الآلات كانوا ينظرون منه الى أن  
يوفروا على الناس وقتهم كي يشغلوه فيما هو أذكي لنفسهم  
وأدعى لراحتهم ولكن عامه الامم أخذت من اختراع  
الآلات ذريعة لزيادة ثروة أصحاب المصانع ولو كان في ذلك  
زيادة جهد العمال واستغلالهم بالكيدح للمعاش

# تطور الاحلام

قد يكون من الفححة أن تخبر فتاة عن تأويل ما رأت فيما يرى النائم من أمير بني الطلمعة وسمى فقد حيالها وحاول أن يقبل يدها أو قبلها . فان في التأويل الصحيح اتهاماً لعقلها الباطن الذي ينطلق وقت النوم ويفرج لشهوات الجسم ما قيد منها العقل الظاهر وقت الصحو . والاحلام سواء أكانت من رؤى اليقظة أم من رؤى النوم دليل على شهوات أو رغبات لا يتحققها الوعي أو اليقظة التامة

وقد يكون أسد المؤرخ وأجدى عليه اذا هو نصب نفسه لدرس تاريخ أمة ما يعمد الى خرافاتها التي تتكشف فيها أحلامها فيدرسها ويعرف منها تلك الشهوات والنوازع التي كانت تعتلي بها نفوس أبنائها . فسرد تاريخ الفراعنة مثلا بما فيه من حروب وأسرى وانتصارات ونحو ذلك قد يكون أقل جدوى في معرفة تاريخ الامة من تحليل قصة خرافية وأحدوثة كانت تتجدد بها العامة في سرهم . لأن في هذه الاحداث تجسم رغبات هؤلاء العامة وهي تمثل ما كانت تشتهيه نفوسهم . وهي أصدق في وصف أحوالهم

من الاكاذيب التي كان الفراعنة يكتبهونها أحياناً عن أنفسهم قبل وفاتهم

وقد كانت أول طوبى فكر فيها الانسان من الطوبيات الخرافية التي دخلت في صلب الدين . فان المصري القديم مثلاً عندما وجد أن اصلاح الحال في الدنيا من المحال وان قوى الاستبداد متآلة عليه وانه يسخر طول النهار فيكدرح في وهج الشمس أخذ يحلم بنعيم يراه بعد الموت . فهو يكدرح هنا يتهمضه الولادة الظلمة ويصادمون فيه شهوات نفسه . وعلى ذلك فهو يرى في نعيم الآخرة ميزاناً منصوباً لمعاقبة هؤلاء الظلمة ويرى المنهاء والراحة في ظلال الاشجار التي تتغلغل بينها جداول الماء . وهو في هذا الخيال الحلو لم مختلف عن الجائع أو العطشان الذي لا يرى في نومه سوى الموائد مبسوطة والشراب المصفى إلا من حيث أن حلمه قد صار حلم الأمة باسرها وخرج من رواية الفرد الى رواية المجموع

ثم جاء الفيلسوف فرسم طوباه لهذا العالم لا يعبأ بما بعد الموت ولا يبالي ب بصير الرم . ولكن الفيلسوف من ذوي الاحلام الارضية لف्रط اعتقاده على الحقائق الملموسة عني بال المادة أكثر مما عني بالمب丹 وبالوسيلة أكثر من الغاية ولذلك

كثيراً ما تتصفح الحلم فتساءل عندما يبلغ خاتمه : هل هذه هي السعادة والرقي أو هل هذه ما نتعوض منها . هل نحن بازاء الاصل أم بازاء البديل ؟  
ثم قد تسأله أيضاً : لماذا لم يتحقق حلم من هذه الاحلام مع مضي مئات السنين على بعضها ؟

وهنا نرى ميزة الاديان على احلام الفلاسفة ومن دونهم من المفكرين . فان الدين قبل أن يعد بطوبى العالم الآخر كان يطلب من الفرد أن يغير بالإيمان قلبه وأن تتبدل نفسه نفسها أخرى هي نفس المؤمن المرتاح إلى إيمانه الراضي به بدلاً من نفسه السابقة نفس الكافر الذي توسموس إليها الشكوك . وكان هذا الإيمان وحده كافياً لأن ييسر على المؤمن كل تغيير يراد في طرق المعاش والمجتمع والزواج ونظام الحكومة وغير ذلك . وتقول بعبارة أخرى ان الدين كان يحاول تغيير الهيئة الاجتماعية بعد أن يبلغ قلب الفرد فيغيره بل يخلقه من جديد . وكان لذلك ينجح في تحقيق غرضه لأن أداة تحقيق هذا الغرض هو الفرد . فإذا لم يكن هو قد تغير فكيف نطلب منه أن يغير طرق الهيئة الاجتماعية وهذا هو الفرق بين الاديان وبين احلام الفلاسفة . فالاديان جعلت تبديل الوسط رهناً بتبديل الفرد فاستطاعت

أن توجد هيئة اجتماعية مسلمة أو مسيحية أو يهودية . ولكن طوبيات الفلسفة وخاصة في القرن التاسع عشر لم تبال بالفرد أقل مبالاة وأنما عنيت بالوسط

في القرن التاسع عشر نجد صيحات اصلاحية عديدة أعلاها نبرة هي صيحة الاصلاح الاقتصادي . ولكن منها أيضاً ما كان يدعو الى اصلاح الحكومة أو التربية أو نحو ذلك من ملابسات الوسط الذي يعيش فيه الانسان . وكلها خالية من شرطين أساسين لنجاح أي دعاية

الشرط الاول : ان الغاية لم تكن واضحة هل هي الصحة أو الجمال أو حسن الادارة أو كثرة المال . وهب أن هذه الاشياء كانت هي أو بعضها غاية ذوي الاحلام من الفلاسفة فهل كانت تؤدي الى السعادة والرقي ؟

الشرط الثاني : أنها كانت خلواً من ايجاد أية وسيلة لتغيير الفرد فان الاديان غيرت قلوب الناس وتمكنت بذلك من إفاذ ما حسبته اصلاحاً . ولكن الطوبويين لم يغيروا شيئاً من قلوب الناس <sup>ويبدأ القبولهم برامجهم</sup>

وجمهور الناس في كل أمة ليسوا عامنة فقط بل هم أو باش يميلون الى القرد أكثر مما يميلون الى السبرمان . ومن هنا تلك السهولة التي يملك بها زمامهم خطيب مفوه أو طاغية

ما كر أو ولـي أبلـه لأنـهـؤـلـاء يخـاطـبـون عـوـاـطـفـهـمـ الـتـيـ تـسـتـجـيبـ إـلـىـ خـطـابـهـمـ أـمـاـ الـفـيـلـسـوـفـ الـذـيـ يـخـاطـبـ فـيـهـمـ عـقـولـهـمـ فـلـاـ يـجـدـ فـيـهـمـ مـلـبـيـاـ . وـالـعـوـاـطـفـ أـقـدـمـ وـأـرـسـخـ فـيـ طـبـعـتـنـاـ مـنـ العـقـلـ وـهـيـ اـذـاـ طـمـتـ بـنـاـ طـفـتـ عـلـىـ العـقـلـ

وـعـلـىـ ذـلـكـ تـقـولـ انـ الطـوـبـيـاتـ الـأـرـضـيـةـ لـنـ يـفـلـحـ أـصـحـابـهـاـ فـيـ تـحـقـيقـهـاـ مـاـ لـمـ يـغـيـرـواـ نـفـوسـ الـأـفـرـادـ . وـلـيـسـ هـذـاـ بـالـشـيـءـ الـعـظـيمـ كـمـ يـتـصـورـ القـارـىـءـ . فـقـدـ اـسـطـاعـ الـدـيـنـ أـنـ يـغـيـرـ قـلـوبـهـمـ فـلـمـ لـاـ تـغـيـرـ الـيـوـجـيـةـ عـقـولـهـمـ بـمـنـعـ الـبـلـهـ وـالـمـضـعـوـفـينـ مـنـ التـنـاسـلـ حـتـىـ يـرـتـقـيـ الـأـنـسـانـ جـيـلاـ بـعـدـ جـيـلـ فـيـتـمـشـيـ رـقـيـ الـوـسـطـ مـعـ رـقـيـ الـأـنـسـانـ نـفـسـهـ . فـارـتـ الـبـوـلـشـفـيـةـ مـثـلـاـ هـيـ الصـورـةـ الـكـارـيـكـاتـورـيـةـ لـاـحـلـامـ فـلـاسـفـةـ الـقـرـنـ التـاسـعـ عـشـرـ وـهـيـ أـمـاـ اـنـخـطـتـ إـلـىـ هـذـاـ الدـرـكـ لـأـنـ أـدـوـاـتـهـ مـنـ النـاسـ لـيـسـوـاـ عـلـىـ مـسـتـوـاـهـاـ هـيـ

وـخـلـاصـةـ فـصـلـنـاـ هـذـاـ انـ الطـوـبـيـاتـ قدـ تـطـوـرـتـ ثـلـاثـاًـ :

- ١ — طـبـيـ الـعـامـةـ الـتـيـ نـراـهـاـ فـيـ أـحـادـيـشـهـمـ الـقـدـيمـةـ وـالـحـدـيـثـةـ وـهـيـ سـلـوـاـمـ تـكـمـلـ لـهـمـ مـاـ تـقـصـهـمـ مـنـ حـقـائقـ الـحـيـاةـ
- ٢ — طـبـيـ الـأـدـيـانـ وـهـيـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ طـبـيـانـ :ـ وـاحـدـةـ فـيـ الـعـالـمـ الـآـخـرـ وـهـيـ تـرـمـيـ إـلـىـ تـغـيـرـ نـفـسـ الـمـؤـمـنـ بـوعـودـهـ بـالـكـافـأـةـ .ـ فـاـذـاـ تـغـيـرـتـ نـفـوسـ وـقـبـلـتـ الـإـيمـانـ لـمـ تـعـارـضـ فـيـ

الطوبى الارضية التي يرسمها الدين لنظام الحياة على الارض  
٣ — طوبى الفلسفه وهي لا يمكن تحقيقها مالم يكن  
غرضها واحداً وهو السعادة والرقي أو الحياة الطيبة التي تعمل  
لراحة الفرد ونهائه وارتقاء الاجيال . وما لم تحارب البلاهة  
في الامم بمنع البليه والمضعوفين من التنااسل

## نقد و مراجعة

كانت معارف الانسان الى ظهور ارسطو طاليس واحدة كلها ادب . فلم يكن فاصل بين الادب والعلم لان الاديب وهو رجل الخيال كان أيضاً عالماً . وكان العالم وهو رجل الحقيقة اديباً خيالياً . فلما جاء ارسطو طاليس وشرع في تأليف «التاريخ الطبيعي» نزع فيه نزعة علمية قائمة على المشرط والتجربة فميز بذلك بين العلم والادب . وظهرت بعده مدرسة الاسكندرية وكانت قيمة العلم فيها والعنایة به اكبر من قيمة الادب . وجاء العرب ولم يكن أدبهم مما يغرى النفس بالخيال اذ كان عماماته الالفاظ وما يلحق النفس من الطرب لرئتها فاندفعت منهم جماعة كبيرة نحو العلم التجريبي . فلما كانت النهضة الاوروبية الحديثة عاد الاوربيون الى الاغريق القدماء عن سبيل العرب فنزعوا نزعة علمية عن العرب ونزعة أخرى أدبية عن الاغريق

وبيان الفرق بين العلم والادب يحتاج الى بعض التفصيل فالعلم موضوعي والادب ذاتي . فالعالم يبحث قطعة من المعدن او مرضًا من الامراض او نجماً او نباتاً وهو بعيد عنه لا ينظر لعلاقته به ولا يبالي بمنفعة هذا البحث او ضرره للانسان .

فقد يهتم العالم في بحثه إلى سُمّ من أُوْحَى السُّمُومِ فلَا يدخل في بحثه أن هذا السُّمّ يمكن أن يستعمل في الحرب لقتل العدو ويمكن أن يكتشف عن سببه سُمّ آخر لقتل النوع البشري كله. وقد يهتم إلى اختراع آلة فلا يهتم بعد العمال الذين يستغنى عنهم باستعمال هذه الآلة لأنّه لا يعني بعلاقة العلم الذي يبحث فيه بالانسان وإنما كل عنايته بالعلم نفسه يبحث فيه وهو غريب عنه بعيد عن منفعته أو ضرره. فإذا رأيت عالماً يبحث في توفير الوقود أو زيادة كفاءة الآلة في العمل ألفيتها مشغولاً بهذه الاشياء دون أي اعتبار لتأثيرها في العامل الواقف امام هذه الآلة وما ينشأ بينه وبين صاحب الآلة من العلاقة الجديدة لهذا الفرق الجديد في الوقود أو العمل

وهذا بخلاف الاديب فإنه يهتم بالانسان لا بالاشياء فهو لا يمارس الادب لذاته كما يمارس العالم العلم لذاته وإنما هو يزاول ادبه لعلاقته بالانسان . وهو لذلك خيالي يبحث في الدين والأخلاق والشرائع . فالادب بطبيعته اصلاحي موضوعه الانسان . والعلم لا يمكن ان يكون اصلاحياً او افسادياً لأن موضوعه الاشياء فقط . والاديب يعكس جميع المعارف في ذهنه لكي يعرف منها أيها مفيدة للانسان فيزاوله

وأما ما لم يكن كذلك فلا يفكر فيه ولا يكترث له . حتى العالم وهو يبحث في شيء إنساني ينظر إليه كأنه « شيء » مستقل عن الإنسان فاللماض زينة المرأة « كربون » والحمى ناشئة عن « مكروب »

وفي كلية سقراط ما يدل على روح الأديب فقد قال : « أنت تعرف أن الشجر في الحقول لا تعلمني شيئاً . وإنما أنا أتعلم وأنعم من الناس في السوق »

ولتكن جاء ارسسطو طاليس فقسم المعرف قسمين : المعرف الخارجية التي يمكن جميع الناس أن يتناولوها وهذه هي الأدب بفروعه . وأساسه التجارب الإنسانية . ثم المعرف الداخلية وهو موضوعها الأشياء ودرسها وهي العلم . وال الأولى هي معارف العامة أما الثانية فهي معارف الخاصة

ونحن للآن نجري على هذا التقسيم فلا يفر من العامة أن يتكلم أو يكتب ما شاء عن الدين أو الأخلاق أو الشعر أو القصص أو العمران او الاقتصاد ولكن ليس له ان يكتب عن الكيمياء أو الطب أو الهندسة

وقد قلنا ان النهضة الاوربية الحديثة نزعت نزعة علمية وهي لا تزال كذلك للآن . وليس شك في ان كبار العلماء في كل وقت كانوا من كبار الأدباء لأن الذهن الكبير يأتي

أن يرضى بأن يكون مخزناً تدخر فيه المعرف بلا غاية أو  
قصد . وإذا قلت الغاية في العلم فقد قلبت العلم إلى أدب  
لأنك عندئذ لا تكتفي بان تقول إن الالماس كربون بل  
تضطر إلى ان تتساءل : هل هو جميل ؟ هل هو جدير بنفقة  
استنباطه ؟ هل من المصلحة العمرانية ان تلبسه طبقة دون  
طبقة من الناس ثم أيها أجمل وأنفع لبني الإنسان أن يتوجه  
نظرهم نحو جمال الوجه او جمال الصنعة اي تكون الاصابع  
جميلة من ذاتها أو محملة بالالماس ؟

لذلك كان ولا يزال كبار الأدباء علماء و كبار العلماء أدباء  
و حسبنا أن نذكر ارسطوطاليس الذي كان يؤلف عن اصول  
البلاغة والتاريخ الطبيعي أو دافنشي الذي كان يمارس الرسم  
و يخترع الطيارات أو جيته الذي كان يستغل بالتشريح  
وبتأليف القصص والشعر . ولكن جمهور العلماء الآن طائفة  
خاصة بعيدة عن طائفة الأدباء . وهذا البعد بينهما وانفصال  
الواحدة عن الأخرى قد أثر آثاره في الهيئة الاجتماعية التي  
تعيش فيها

وذلك لأن الأدب بجميع فروعه لا يحيى ويزكي إلا إذا  
قام على أساس العلم . والعلم نفسه معارف جوفاء لا غاية لها إلا  
إذا هضمتها الأديب ومثلها في ذهنه . ومن هنا انفصل الأدب

والعلم كلاهما عن الحياة . فالاديب الان سواء أكان رجل دين او تصویر او قصص او شعر او غير ذلك من فنون الادب يبحث مثلا عن السعادة المترتبة وهو لا يدرى شيئاً عن مادة البناء او انواع النبات الذي يستطرف للزينة او هندسة التهوية الصحيحة او تطهير المدن او غير ذلك مما يعرفه العالم ويختص به . ولكن العالم ايضاً وهو يعرف هذه الاشياء يجهل عنصر المجال في المنزل فيه كأنه يبني سجيناً او مصنعاً

وخلاصة ما تقدم كله أن احلام الفلاسفة يعتورها في جملتها نقص عظيم وهي أنها نتاج أفكار الادباء أو أفكار العلماء . وقلمما تجد اديباً عالماً مثل افلاطون أو ولز أو هدسون يحاول أن يجمع بين الادب والعلم في تخيل طوباه . والحقيقة أن الانسان في زمننا الحاضر يشق عليه أن يجمع بين الاثنين إلا اذا قنع من العلم بالتطوف من فروعه المختلفة دون الامان فيها . وعلة ذلك أن العلم قد تقدم وصارت الاحاطة بأحد فروعه تستغرق الحياة بأجمعها فاما أن يطول العمر حتى يبلغ مائتي عام أو ثلاثة وإما أن تقنع بقليل الدرس منه

ولكن يجب أن نعرف أن تقدم العلوم بحيث لا تتمشى مع تقدم الاداب يؤذى الناس ولا يفيدهم . فإذا عرف الناس مثلا علم الكيمياء وما هي الغازات القاتلة التي تفني منها

الجيوش أو المدن في ساعة دون أن يكون لهم مع ذلك خيال راقٌ أو عقيدة سامية في مستقبل الإنسان أو معنى مهذب للجمال كان علمهم بالكيمياء ضررًا من أذى النفس الذي يجب أن يحاط الناس منه

وحضارتنا الراهنة هي حضارة العلم المنفصل عن الأدب أي حضارة الصناعة القائمة على ادمان الاختراع الآلي إلى أقصى حد . ولكن الصناعات مهما أوتيت من رقي ان هي إلا وسيلة وسبب من وسائل الحياة وأسبابها ولذلك ما زلنا نحن على رقينا الصناعي الحاضر نتساءل : أينما أصبح نظراً للحياة والسعادة وتقدير الجمال والرقي نحن أم المcriون القدماء أم الاغريق القدماء ؟

فإذا أردنا أن نشرع في تخيل أخيالة صحيحة يمكن تتحققها يجب قبل كل شيء أن نصل ما افترق من العلم والأدب . ولا عبرة بتأخر العلم في هذه الحالة . فان تقدمه وحده لا فائدة فيه . ائما يجب أن نذكر ان العلم ائما ارتقى وحده لانفصاله عن الحياة أو بعبارة أصح يقول انه ارتقى لانه حين تجرد من العامل الشخصي وصار موضوعه الاشياء دون الناس انطلق من جميع القيود التي يضعها ذوو السلطان الحكومي أو المالي أو الديني على فنون الأدب كما هو الواقع

الآن في معاملتهم للبحث الديني أو العمراني . فلن يرقى  
الادب حتى ينطلق هو أيضاً من هذه القيود بحيث يجوز عمل  
التجربة العمرانية كما تعمل التجربة الكيميائية ويجوز ابتكار  
العقيدة الدينية كما يجوز اختراع آلة آلة للصناعة . فإذا تخيل  
الاديب خياله ورسم طوباه لم يكن ذلك مجرد اللذة أو التسلية  
وانما هو يبني على قواعد العلم بحيث يصير خياله عملياً تيسير  
تجريته في مدينة أو قرية أو مديرية او قطر

ومعظم ما وضع من الطوبيات في القرن التاسع عشر  
عني فيه أكثر مما يجب بالنظام الاقتصادي لامة . وكان هذا  
طبعياً للانقلاب الاقتصادي الكبير الذي حدث في القرن  
الماضي بانتشار الآلات . ولكن النظام الاقتصادي ليس  
كل شيء

وهو ايضاً لا يمكن حله مالم تحل الى جانبـه مسائل  
اخرى . لأن الاعتماد على حل مسائل الحياة بتنظيم عمل  
الآلات هو حل علمي موضوعي ناقص . لأن الحياة تحتاج  
أيضاً الى حل ادبي يدخل فيه الاعتبار الديني والثقافي  
والأخلاقي ولن يكون ذلك حتى يكون الاديب عالماً أو  
العالم اديباً

وبعبارة اخرى تقول ان الامة التي ترتفق فيها مركبة

كالاتومobile كل عام باختراع أداة جديدة لا تعتبر انها سائرة نحو الحضارة الصحيحة ما لم يرتفق دينها وينفتح على الاقل مرة في العام ايضاً . والحضارة التي تعنى بمكتشفات العلم لن تكون حضارة صحيحة ما لم تعنى بمكتشفات الادب . والامة التي تجرب طريقة جديدة لمزج الاصياغ لن تكون حياتها صحيحة ما لم تجرب الى ذلك طريقة جديدة للمعيشة بين الافراد بحيث يساوقي رقيها العمراني رقيها الصناعي

## مقدمة لطوبى مصرية

كل طوبى بطبعتها محلية . ومن الحال ان تؤلف طوبى عالمية لأن لكل مكان أو بقعة جغرافية « شخصية » تحتاج في معالجتها الى طرق مختلف عما تحتاج اليه آية بقعة أخرى فالمثال الاعلى للعيش في مصر يجب ان يختلف عما هو في اليابان او البرازيل

ولقد ذكرنا جملة شروط لتخيل طوبى صالحة للاعمال . منها ان يقوم بها اديب عالم . ومنها ان يكون الجمهور قادرآ بذكائه على ادراك حقيقتها . ولكن قبل كل ذلك يجب ان يحب صاحب الخيال او رأيي الرؤيا موضوعه . وما موضوعه هذا سوى وطنه

وهل لي ان أشك في وطنيه الاديب المصري وحبه بلاده ؟

حسبك ايها القارئ أن تعرف أن « وطنيه » ليست لفظة عربية مثلها مثل « العائلة » فكلامها ترجمة لمعان افرنجية . وحسبك أن تعرف أن ادبنا ليس أدباً مصرياً بل هو ادب عربي ابطاله المتني وابن الرومي والمعري . وحسبك أن تعرف ان لجزيرة العرب حرمة في نفس المصري أكثر مما

لمنفيس وان موسى من الانبياء المكرمين وان فرعون من الظلمة الفاسقين . ثم اذْكُرْ أَن الطوبيات الدينية تغمر كل طوبى دنيوية اخرى

فهذه كلها عقبات تمنعنا من أن نحب مصر وتعتبر ضـ العاطفة الوطنية في نفوسنا . فمنذ أن خرج البدو من جزيرة العرب على حضارة المصريين والرومانيين والاغريق ووطنية مصر شائعة في العالم الاسلامي ومدنيتها مغمورة بالبداوة العربية فليس لنا الآن آثار نختتمها ولا ظهر منها ابطال نذكرهم إلا ما كان في العصور القديمة

ثم هبت علينا نفحـة من اوربا فعرفنا منها القومية والوطنية او بدأنا نعرفـهما فصرنا الآن نذـكـر الفراعنة بالتبـجـيل بعد ان كـنا نـجـاري أعدـاءـهم في لعـنـهم وصـرـنا نـشـعـرـ أـنـاـمـصـريـونـ. وـلـكـنـ هـذـاـ الشـعـورـ لاـ يـزالـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـمـرـينـ حتـىـ يـنـزـلـ مـنـ العـقـلـ الـظـاهـرـ إـلـىـ الـعـقـلـ الـبـاطـنـ

فـاـذـاـ اـحـبـبـنـاـ مـصـرـ وـصـرـنـاـ نـبـجـلـ شـعـرـاءـهـاـ وـكـتاـبـهـاـ بـدـلاـ منـ تـبـجـيلـ الـجـاحـظـ وـالـجـرـجـانـيـ . وـاـذـاـ صـارـ الـفـلـاحـ مـوـضـوعـ اـحـتـرـامـنـاـ وـبـطـلـ اـصـلـاحـنـاـ . وـاـذـاـ صـرـنـاـ نـقـلـ أـسـالـيـبـ الـبـنـاءـ عنـ الـفـرـاعـنـةـ وـنـشـيـدـ مـنـازـلـنـاـ عـلـىـ غـرـارـهـاـ فـعـنـدـئـذـ نـحـبـ مـصـرـ وـيـسـوـقـنـاـ جـبـنـاـ لـهـاـ إـلـىـ تـخـيـلـ الـأـخـيـلـةـ الـجـمـيـلـةـ . وـاـذـاـ اـنـتـ رـأـيـتـ

أديباً لا يبالي بالفلاح في مصر فليس بذلك من معنى سوى أنه لا يحبه . وهو اذا لم يحبه فقد كره مصر لأننا نحن كلنا فلا حون

والحقيقة أن أدباءنا هم أدباء العرب أو أدباء الدولة العباسية أكثر مما هم أدباء مصر . وحالتهم هذه ابعد الحالات عن تخيل طوبى مصرية لأنها بعيدة عن حب مصر ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره فإذا نحن ذكرنا مصر وتعاونت أحوالها أقلامنا اسفرت مزاولتنا لوصفها وتقديرها عن حبنا لأشياء وكراهتنا لأشياء أخرى فيها

وعندئذ فقط نبدأ بأن نحلم لمصر بنظام جديد وأن نرسم لها طوبى جديدة . لأن الطوبى الحقيقية ينبغي أن تكون نتيجة طرب الحب . وكيف نحب وطننا ما دامت عيوننا شاحصة نحو الشرق

## ضيّمي

« الزمان نوع من المكان . فبدلاً من ان اقول : منذ الف سنة حدثت تلك الحادثة . يمكنني ان اقول : ان تلك الحادثة حدثت في المكان الفلاحي في الفضاء في دورة الارض الفلانية عند حركة الشمس الفلانية لو كان تحقيق حركتي الارض والشمس يمكن تعينهما في مكان في الفضاء . فافهم عندئذ من هذا القول ما أفهمه من قوله : منذ الف سنة حدثت تلك الحادثة . بل يكون فهمي هنا أدق وادرأكي للحادثة أوضح »

كنت أتلفظ بهذه اللفاظ بصوت اسمعه كاهي عادي عندما أريد أن أوضح لنفسي شيئاً غامضاً ، لأن اللفظة عندي هي أساس المعنى وليس المعنى أساس اللفظ  
وأنا في هذا احاول ان اميز بين الزمان والمكان وإذا بالنعاس يغلبني ويقاد يتطور الى نوم . ثم اذا بوعي العقل الظاهر ينقلب الى أحلام العقل الباطن . ثم قترة من التردد بين الصحو والغفو ثم النوم

ولكنه لم يكن نوماً إلا في ظاهر الجسم أما في باطن الاعصاب والدماغ فقد كانت الأفكار تتاجج والخواطر

ترادف وتوارد وتجمع ثم تشتت وتتبدد . وبعد برهة  
فقدت الشعور بزمانها (أو بعدها) أحسست كأنني أحدر  
وئيداً إلى حيث ينقشع الضلام ويتبليج الضوء ثم استنشقت  
أنفاس الصباح بل كرعت منها وعيت فيها كأنني لم أذق  
طعم الهواء النقي منذ سنين . وهبّت من فراشي وأنا أقول  
«تأخرت . تأخرت» ولكنني قعدت ثانية في الفراش  
عندما نظرت إلى ما حولي . فان الغرفة لم تكن غرفتي ولا  
الفراش فراشي . ونظرت إلى الحائط فوجدت معلقاً عليه  
نتيجة وبها هذه الأرقام ٧ فبراير ٣١٠٥

فتأملت ما حولي فوجدت المرتبة والوسادة واللاحاف كلها  
مصنوعة من الكوتشوك المفروخ والغرفة نظيفة ناصعة .  
فقلت في نفسي : «لابد أنني كنت مريضاً وجاءوا بي إلى  
هذا المستشفى اليهودي . اذ لا شك في أن هذه السنة يهودية  
تبتدئ من موسى . وموسى جاء قبل المسيح بنحو ١٣٠٠  
سنة . هؤلاء اليهود لا ينسون تاريخهم . ولكنني لا أعرف  
لماذا أحضروني هنا فاني لا اتذكر أنني مرضت»

ثم نظرت إلى جسمي لارى به علامات جرح أو كسر فلم  
أجد . فكددت ذاكرتي أبحث عن حادثة في الماضي فلم  
أهتم . فقمت من الفراش وسررت نحو النافذة ولكنني لم

أخط خطوتين حتى صكت أذني صرخة فالتفت الى الوراء  
فرأيت فتاة تعدد وهي تقول : « النائم صحا . النائم صحا »

ولم تمض دقائق حتى سمعت المستشفى كله يردد هذه  
العبارة « النائم صحا » وبعد نحو ربع ساعة سمعت الشارع  
كله يتباومها . فتحاملت الى النافذة وانا اكاد اقع من  
الضعف واطللت فرأيت جموعاً من الناس في هيئة غريبة  
يتصايحون : « النائم صحا . ها هوذا ينظر . انه شاحب . قد  
لا يعيش . يجب ان يرد الى الفراش . اين المرضات  
والاطباء ؟ » وكان الآباء يحملون الاطفال على اكتافهم  
لكي يروني من الزحام . وحلقت في الجو قريباً من النافذة  
نحو خمسين طيارة صغيرة ووقفت ينظر اليّ ركابها

وبينما أنا مشغول بهذا المنظر و اذا يد توضع على كتفي  
فالتفت فوجدت رجلاً نحيفاً طويلاً الوجه ضخم الرأس عليه  
لامح البنات يقول لي بصوت عذب : « هل لك ان تعود  
 الى الفراش ؟ انت مازلت ضعيفاً »

وكان في ألفاظه حلاوة واغراء فعدت الى الفراش  
واضطجعت . فقعد على كرسي بجانب سريري وأخذ يجس  
نبضي ويفحص لسانني ويتحسس أجزاء في جسمي . ثم قال :

« ييدو لي انك قد عوفيت . ولكن يحسن عقد مجلس من الاطباء للاقرار على شأنك »

فقلت : « ماذَا كانت علتي ومتى يسمح لي بالعودة الى البيت ؟ »

فضحلك ضحكة طويلا دون القهقهة وقال : « يظهر انك تجهل كل شيء . لقد مضى عليك هنا ١١٨٠ سنة . ان حادثتك غريبة فقد اصبت سنة ١٩٢٥ بفالج في الدماغ فذهب عنكوعيك وبقيت سائر أعضاء جسمك تعمل كما لو كنت صاحياً . كنا نغذيك وانت نائم حتى ذهب عنك الفالج فصحوت الآن . لقد بنت ١١٨٠ سنة »

ولكن هذا الكلام لم يجز الى عقلي ورأيت من العبث أن أجادل هذا الرجل . فتجاهلت كل ما قاله وقلت بثبات وعزم : « أريد ان ارى عائلتي »

فعاد الى ضحكته التي تراءت لي هذه المرة انها سخيفة جداً وتبدت على وجهه عندي ملامح الوجع الذي يتعلل لحسني وايهامي أوهاماً كاذبة . قلت وصوبي يتهدج بما يهيج نفسي من الغيط : « اذا لم أذهب الى عائلتي فانا أقفز من هذه النافذة وأنتحر . وأنت المسؤول »

فعلت وجده حمرة الاضطراب وقام يتلطف ويسري

عني ويقول : « ستخرج قريباً بعد استفتاء المجلس . لا تخش شيئاً . كلنا يحب لك الخير والراحة . لا تخش شيئاً . انظر . قد حضر بعض الاعضاء »

فنظرت الى الباب فإذا بخمسة أو ستة أشخاص يسيرون نحو غرفتي . وتأملتهم عند ما دخلوا فوجدت فيهم اثنين من النساء . وأخذوا جميعهم يفحصونني وأقرروا على ان صحتي جيدة وأذوا لي في الخروج بعد تناول الطعام

فقدم لي طبق من فواكه مختلفة لا أعرف أسماءها ولم يقدم لي شيء مطبوخ . قلت : « هذا لا يقيتي . أرجوكم أن تحضروا لي لها وخبزاً فانيأشعر بالجوع الشديد »

فلاطفي أحد هم وأخبرني بان في هذه الفواكه ما يزيد عن حاجة جسمي من الغذاء وفيها طعوم مختلفة حلوة وملحة . ثم رتبهالي فاكتت أولى الأumar فكانت تشبه في طعمها اللحم ثم اكلت شيئاً من الجوز وكان يسيل دهناً ثم تناولت ثمرة جميلة اللون ذكية الرائحة قريبة في الطعم من المكثري وأحسست بالشبع والري من هذا الطعام المذيد

ثم انقض المجلس وبقي الشخص الاول . فقال لي : « والآن هل تريد أن تخرج الى المدينة ؟ »

قالت : « أجل . هذا ما أريد » فما ولني سراويل

ومعطفاً لبستها وخرجت معه

وما اشد ما كانت دهشتي عند مارأيتها في مدينة غريبة  
يتزاحم أهلها لرؤيتها . وكأنوا كلام يشبهون رفيقي طوال  
الاجسام ضخام الرؤوس نحيفي الابدان لا يختلف الرجل  
عن المرأة الا في ان له شاربين دققين . أما اللحية فكانت  
أرى شعرات في مكانها أو لا أرى شيئاً . وكانت افواههم  
صغريرة وبعد ان اختلطت بهم عرفت ان ليس لهم اسناناً في  
الفك الاسفل . اما اسنان الفك الاعلى فلم يبق منها الا  
اعجازها . واخبرني هذا الشخص الذي كلف بمرافقتي عن  
اشياء كثيرة خاصة بي وبالمدينة التي نسير فيها . فشك لي  
كيف اني عشت عيشة نباتية وانا منقطع على فراشي دون  
ان اعي وكيف ان هذه المعيشة كانت سبباً في ان اعمر هذا  
العمر الطويل لاني صرت بمحابة الشجرة لا اجهد الا اقل  
الجهد . وكيف ربت اموالي حتى صرت الان من أغنى  
الناس . في سنة ١٩٢٥ كنت املك خمسين فداناً ولم يكن  
ينفق عليّ بعد الفالج الا ربع عشرة فدادين وما تبقى من  
الربع يتوافر باسعى حتى ان اولادي لم يرثوا شيئاً مني لا هم  
ولا احفادهم لانه على الرغم من مقاضاتهم لي لم تستطع محكمة  
ان تقر على موته . فترامت اموالي بهذه الطريقة . ثم قص

عليَّ تاریخ مصر في الالف السنۃ الماضیة وكيف حدثت فيها ثورات اشتراکیة وكيف اخفقت التجارب الاولی للحكومة ثم انتهت بالنظام الحاضر . وأخذني في ايوم الاول لحروجي من المستشفی وأرأی بعض مناظر مصر أيام كنت أعيش فيها قبل ان امراض فعرض عليَّ جملة أشرطة سینما توغرافية رأیت بلادي كما كنت اعرفها . ثم عرض عليَّ اشرطة أخرى للمائة السنۃ التالية ثم الثالثة وhelm جرا الى ان ابلغني مناظر «خيالي» أي مصر في عصره

وكان قد استقر في ذهني الان ان ما رواه لي عن مرضي صحيح وقد كنت في حیاتي السابقة اعرف شيئاً عن نظرية التطور بل أدعو الى الایمان بها فلم يكن من الصعب اذن ان استضيء بضوئها في الظروف الحاضرة . ولكن علمي بهذه النظرية أسقط كرامتي بعض الشيء فاني كنت أنظر الى نفسي كأنني متاخر عن هؤلاء الناس نحو ١٢٠٠ سنة وكأنني بينهم بمثابة انسان متحجر حي . والحق انهم كانوا ينظرون الي على الرغم من تأدبهم هذه النظرة المبينة . فقد كنت أرى عيونهم تثبت في وجهي وتفحص هيئة دماغي وكان صبياً منهم يتجرأون احياناً على لمسه حتى

ويتعجبون من خشونتها كما كانوا يصرحون أحياناً أخرى  
بتتعجبهم من صغر رأسى

وعدت عند الأصيل إلى غرفتي فوجدت مريضي التي  
قدمت لي طعاماً من الفاكهة أيضاً . وأخذت معها في الحديث  
وكان قد غادرنا رفيقي . وشعرت ونحن في وحدتنا بالغرفة  
بشعور عائلي بيدي وبين هذه الفتاة . فقد عرفت منها أنها  
عنيد بتمريضي نحو ثلاثين سنة وكان هذا وحده كافياً لأن  
أدل عليها بحق الصحبة القديمة والعشرة الطويلة . ثم قشت  
عليّ حالي أيام مرضي ولم تكن القصة طويلة إذ كانت تتلخص  
في آني كنت في سبات يشبه حال بعض الحيوانات وقت  
تشتيتها حين تتجه روتانام ثلاثة أو أربعة شهور لا تأكل  
فيها ويقتصر نشاط جسمها على التنفس مع دورة دموية  
بطيئة جداً . ولما رأى الأطباء آني سآمومت لا محالة إذا لم  
أتغذَّ صاروا يحقنون عروقي بمواد مغذية نحو مرة كل شهر  
تقريباً فكانت الحقنة تمسك رمقي . واتبع الأطباء هذه الطريقة  
معي وجعلوني أمحونة الدهر حتى قيل لي انه قد ألغت كتب  
عن حياتي هذه وتعليلها بحملة عمل وآخر ما ظنه بعضهم آني  
الختلف عن سائر النماض في تركيب بعض الغدد المنقطعة

وقد ارتأى بعضهم تشريجي بعد موتي ولكنني أخلفت  
ظنهم اذ صحوت

وكانت الفتاة تخاطبني بصوت جميل فيه لجة مستملحة  
وكان طويلاً ضخمة الرأس لا يكاد يكون لها صدر يشبه  
صدر النساء البارزة . وكانت تلبس ليس بني عصرها  
فالساقان والذراعان والرأس عارية والحذاء بلا جورب .  
وليس على جسمها من الملابس سوى قطعة من نسيج واسع  
متخلخل أشبه شيء بالكتوشوك يغطي ما بين العنق  
والساقين . وكان الرجال والنساء سواء في ذلك . أما شعر  
الرأس فكان يرخي حتى يغطي بعض الوجه والقفا

وألفت هذه الفتاة التي عرفت ان اسمها « راديوم »  
وشعرت منها كأنها قد ألتقطني . وكان في نظرها لي شيء  
يحببها اليه اذ لم أكن أرى في عينيها ذلك الاحتقار الذي  
كنت أراه من سائر اهل خيمي عندما كانوا يتغرسون في  
هيئه رأسي وكونها دون رؤوسهم في الحجم . وكانت تشرح  
لي كل شيء خاص بأحوالهم ومعاشرهم ونظامهم وكنت كل  
يوم يزيد ارتباطي بها وتعويزي عليها حتى كنت أقف في  
جانبها كالطفل في جانب أمه

وشرحت لي غذائهم فوجدت أنهم لا يعرفون الطبخ

ولا يذبحون الحيوان لأنهم قد استنبتوا من الأئمار فواكه مختلفة منها ما ينفع غذاءً ومنها ما يستعمل دواهـ . وبعض غذائهم كالنشا والسكر كانوا يستخرجونه من الجاد أي بالتركيب الكيماوي . وكانت الزراعة في ايدي ناس خبراء لكل منهم معمل يستولد فيه البزور الجديدة ويقاييس فيهـ الاغذية المختلفة مع طعمها الحلوة والمريرة والملحـة ولم تكن عنائهم بالائمار من حيث الغذاـء فقط فقد كانوا يلتفتون ايضاً الى الارجـ و اللون بحيث لا يقعد الانسان الى طعامه حتى يرى ما يغدو العين والخيالـيم كما يرى من الطعام ما يلـد للسانـ

وكانت مساـكـنـهم في غـاـيةـ العـجـبـ . بعضـهاـ مؤـافـ من طبقـاتـ يـحـتـويـ المسـكـنـ عـلـىـ نـحـوـ مـائـيـ نـفـسـ تقـرـيـباـ من اوـلـئـكـ النـاسـ الـذـيـنـ يـمـيلـونـ إـلـىـ الـأـلـفـةـ وـالـاجـمـاعـ . بـيـنـاـ كـانـتـ هـنـاكـ منـازـلـ مـنـفـرـدةـ بـيـنـ الـحـقـولـ يـعـيـشـ فـيـهاـ المـغـرـمـونـ بـالـعـزـلـةـ أوـ المـنـكـوبـ عـلـىـ درـسـ مـوـضـعـ خـاصـ يـسـتـغـرـقـ كـلـ وـقـتـهـ وـيـصـرـفـونـ إـلـيـهـ جـمـيعـ قـوـاهـمـ . وـكـانـتـ حـيـاتـهـمـ تـسـهـلـ عـلـىـ الـإـنـسـانـ الـانـفـرـادـ لـاـنـهـ كـانـ يـجـدـ فـيـ وـحدـتـهـ كـلـ مـلـاذـ الـاجـمـاعـ اـذـ كـانـ يـجـدـ فـيـ غـرـفـتـهـ جـهاـزاـ لـلـتـلـفـونـ الـأـثـيـرـيـ فـيـ سـمعـ مـنـ الـخطـبـ وـالـخـاطـرـاتـ وـالـأـخـبـارـ مـاـ يـشـاءـ لـيـلـاـ أوـ نـهـارـاـ وـكـانـ اـذـ أـرـادـ اـنـ يـخـاطـبـ صـدـيقـهـ مـثـلـتـ لـهـ صـوـتـهـ وـسـمعـ صـوـتـهـ .

وهو قاعد في غرفته لا يرى . ولم يكن بالمدن ذلك الغبار الذي  
كنا نراه لأن الشوارع كانت جميعها مغطاة بالخشب أو  
الكتوشوك حتى الطرق الزراعية كانت كذلك تقوم على  
جوانبها المصايف الكهربائية فلم تكن البيوت تحتاج إلى  
كنس وتنظيف لا ينقطعان . ثم كان أثاث المنازل يساعد  
على النظافة لانه صار كله تقريباً من الكتوشوك . وكانت  
الغرف تدفأ وتضاء كما كان بها ايضاً مراوح تدار باللاسلكي  
وكان لكل فرد تقريباً أو موييل خاص او طيارة صغيرة  
وكلها يدار ايضاً باللاسلكي

ويمكن ان اقول ان حياتهم كانت على وجه العموم  
افرادية من الوجهة الحسية ولكنهم كانوا في انفرادهم  
أكثر اجتماعاً منا من الوجهة المعنوية . فاني لم اعرف بذئبهم  
انساناً لم يسمع غناً كل يوم أو لم يشاهد دراماً تمثيل في مكان  
قد يبعد عنه بآلف ميل او لم يخاطب اصدقائه النائين عنه في  
اقطار اخرى مرة كل اسبوع على الاقل ويرى وجوههم  
ويضاحكهم ويجادلهم . فلم يكن لهم ما يدعوه الى ان يعيش  
هؤلاء الناس معاً كأن لكل منهم مرتبة هوائية او ارضية  
تنقله الى حيث شاء بأسرع من الريح  
ولكنني مع اعجبني بهم لا أنكر انني امتعضت كثيراً

عندما علمت أنهم لا يعرفون الحياة العائلية كما كنا نفهمها .  
ومما زاد امتعاضي وألمي أنني وجدت راديوه في غاية الجهل  
وسوء العاطفة نحو هذه الحياة . فقد كانت عواطفني توسيس  
اليّ وساوس الذينة عن حياة زوجية مع راديوه فأتمثلها  
معشوقي وزوجتي تسكن اليّ وأسكن إليها في مسكن يكون  
عشنا الذي نأوي إليه معًا ويكون لنا من ثمرة الحب المتبادل  
صبيان روفة تتمتع برؤيتهم اطفالاً وتشعر في تربيتهم بلذة الابوة  
ولم تكن راديوه والحق يقال تشنّد عن بنى جنسها في  
سوء العاطفة الغرامية . فانهم كانوا جميعاً جامدين باردين  
ينظرون بعقولهم أكثراً مما كانوا يحسون بعواطفهم ولا أذكر  
أنني رأيت أحداً منهم يغضب إلى الاحتداد أو يفرح إلى  
الطرب فأقصى غضبهم امتعاض وأقصى فرجمهم ابتساماً او ضحك  
لطيف . ولم يكن الزواج لديهم قائمًا على اعتبارات العشق  
بل على اعتبارات المعيشة والغاية والنسل . فإذا سمع أحدهم  
عن فتاة تبحث أبحاثه وتدرس ما يدرسه تخبرها وينتهي  
ت��ها إلى ألمة بحيث يعيشان معًا في مسكن واحد ولكنهما  
مع ذلك لا يجوز لها النسل إلا بعد شهادة من الحكومة  
بأنهما جديران بالنسل

وكان النسل أخطر ما تعنى له حكومة خيمي . والحق

أني عندما أتأمل في احوالهم أجد أنها كلها تدور حول العناية بالذسل . فقد استقر في اذهان هؤلاء الناس ان الانسان كان في الزمن بعيد يشبه القرد وانه بالعنابة والانتخاب يمكن أن يرقى الى ان يكون حيواناً زاقياً جداً من حيث العواطف والعقل . وما ساعدهم وشجعهم على هذا النظر ان الاشرطة السينمائية التي حفظت لهم تاريخ الفو مايي عام قد وقفتهم على احوال آبائهم ودرجة رقيهم المنحطة وكيف تدرجوا في الرقي الى ان وصلوا الى حالاتهم . فلم يكن فيهم من يستطيع التنطبع بمجده الآباء لأن هذا المجد كان يرى على لوحة السينما توغراف قبرى عندئذ الوجوه الدميمه والغبار المتطاير والشوارع القدرة والرؤوس الصغيرة . وأذكر أني تصيبت عرقاً من الخجل عندما رأيت شريطاً خاصاً بأحد الموالد كانت احدى الشرفات قد اخذت صوره سنة ١٩٢٤ من القاهرة وتعجبت كيف كنا نعيش في ذلك الوسط القذر

وكان عند ما يولد غلام جديد تحضر للمنزل لجنة من العلماء فتفحص جسمه فان الفتة يليق للحياة والا قتلته في المكان . ولم يكن الابوان يغضبان من ذلك وكنت اسمع منهم ان اكبر ما يقتل لاجله الاطفال هو «الردة» أي انهم يردون الى أصلهم فيخرجون برؤوس صغيرة

وقد تحدثت مع راديوم كثيراً عن هذا الموضوع فوجدهما لا تستطيع قتل الأطفال وأجابتني بهمجة باردة جداً بأنهم لا يحسون بالموت أكثر من أي حيوان آخر وإن مصلحة الأمة والاجيال القادمة تقتضي ذلك . أما طريقهم في التربية فكانت في نظري أفضل ما عندهم . فقد كان الطفل يبقى مع أبيه نحو ست سنوات ثم يؤخذ بعدها إلى المدارس حيث يعلم تعليماً عملياً لزيذاً . فكانت الجغرافية والتاريخ وأيضاً التاريخ الطبيعي تعلم بالسينما وغلاف فكان الصبي الذي لم يتجاوز العاشرة يعرف عن هذه الأشياء من المعارف الصحيحة أكثر مما يعرفه طالب قد بلغ الثلاثين في مدارسنا القدية . وكانت المدرسة عبارة عن ورشة ومكتبة يتنقل بينهما الطالب وكان يتمتحن امتحانين أحدهما امتحان حضارة خاص بنظام الحكومة وتركيب الآلات المختلفة والزراعة والكيمياء ونحو ذلك مما تقوم به الحضارة . والآخر امتحان ثقافة حيث يدرس تاريخ الأمم والانسان القديم والفلسفات المختلفة التي نبتت من أذهان الناس من العصور البعيدة والاديان والأداب ونحو ذلك . وكان الطالب لا يترك المدرسة عادة قبل الأربعين . ولم تكن هذه المدة طويلة اذا اعتبرت ان أهل خيمي كانوا يعمرون الى نحو مائة

وخمسين سنة . وكانت السياحات البعيدة الى ثلوج القطب الجنوبي او الى وادي الصحراء او الى الجبال الشامخة من ضروب التربية التي يرباها الشباب . فكان الشاب لا يخرج من المدرسة الا وقد رأى العالم كله تقريباً

أما نظام الاعمال والتكتسب فكان يشبه ما كنا نسمع عنه من الداعين للاشتراكية في زماننا . فقد كانت خيمي مقسمة الى ضياع بها دساً كر يتبع كل دسكة نحو الف فدان وبها مصنع وكانت الزراعة كما نفهمها الان قليلة لانه لم يكن يحرث من هذه الالف سوى نحو خمسين أو ستين فداناً لزراعة النباتات الغربية السنوية . أما سائر الارض فكانت مغطاة بالأشجار المعمرة يؤخذ منها الطعام واللباس والوقود . ولم يكن الري من النيل كما كان في عهدهنالان هذا الامر كان قد جف تقريباً لأن اهل خيمي صاروا يزمون السحاب بازمة عالمهم يرتفعون فوقه بالطيرات ويطلقون عليه من المواد الكيمائية ما يجعله يتکافث ويقع مطرأً في أي جهة ارادوا وفي أي وقت شاءوا . أما مصانع الدسكة فكانت تصنع كل شيء ، تقريباً بحيث أن كل دسكة كانت مستقلة في معيشها عن الأخرى الا في أشياء قليلة تتبادلها واياها . وكان أهل النقابة أشبه شيء بشركة تعاون . ولم يكن يحتاج احدهم الى

العمل المعاشه أكثر من ساعة في اليوم وسائل نهاره وليله يقضيه في المتع الذهنية المختلفة وفي متابعة أبحاثه العلمية اذ قلما كان يخلو فرد من أبحاث علمية يملأ بها فراغه سواء في ذلك الرجال أو النساء

وكانت حكومة خيمي مؤلفة من خمس هيئات : الهيئة التشريعية والهيئة القضائية والهيئة الصحفية والهيئة الدينية ثم أخيراً الهيئة التنفيذية

فأما الهيئة التشريعية فلم تكن منتسبة من أفراد ينتخبونها كما كنا نعهد في زماننا بل كانت تنتخبها النقابات المختلفة فلنقاولة الأطباء مثلاً ١٠ أعضاء ولنقابة البيولوجيين أي علماء علم الحياة ١٠ آخرون ولنقابة علماء الزراعة ١٠ ولنقابة النجارين ١٠ وهلم جرا حتى يتالف من ذلك مجلس به نحو ٥٠٠ عضو هو السلطة العليا للتشريع

أما الهيئة القضائية فكانت أقل الهيئات ظهوراً في الامة لقلة عدد المتقاضين . وكان القضاة ينتخبون عادة من طبقة رجال العمران والبيولوجية للفصل في من يجب قتلهم من الناس أو منعه من التنااسل ولم يكن ثم عقاب آخر

أما الهيئة الصحفية فكانت مؤلفة في الحقيقة من عدة هيئات فاحداها مثلاً تشغله باصدار صحفة يومية اما الاسلوبية

واما مطبوعة عن الكيمياء . وأخرى تصدر صحيفة أخرى عن الادب وأخرى عن الطب وهلم جرا . وكانت الجامعات من الم هيئات الخاصة باصدار الصحف ولم يكن نظام الجامعات عندهم يختلف عما كان عندنا

اما الم هيئه الدينية فكانت مؤلفة من نقابة عامة من الفلاسفة ولم يكن يقبل فيها أحد دون السبعين وكان رأيهما هو الاعلى في تقرير ما يؤثر في ذوق الامة ومزاجها وقصدها . فكانت تعين طريقة تدريس التاريخ وتقرر بناء المثاليل لبعض مشاهير التاريخ او هدمها . وتقسم المثاليل الخاصة بالجمال او بالكتفاليات الانسانية الاخرى في الميادين . وكذلك الحال في الموسيقى والتصوير والرقص تأمر وتنهي فيها كلها لأن أهل خيمي يعتقدون ان ديانة الانسان أخرى بأن تكون من هذه الاشياء من أن تكون من العقائد المحفوظة عن ظهر قلب كما دنا نفعل في ايامنا . ولاهل خيمي معابد يتبعيدون فيها على انفراد على عكس ما كنا نفعل . والمعبد عبارة عن بناء مستطيل كبير على جدار من جدرانه الاربعة صور تمثل بزوغ الحي الاول وتطوره الى الانسان ثم ما تخيله هؤلاء الفلاسفة وتنبأوا به عن مستقبل الانسان في صور أخرى تمثله ضخم الرأس كبير العينين شريف الطلعة دقيق الاطراف

والانامل . وفي جدار آخر صور أخرى تمثل ارتقاء الصناعة من عهد الانسان الحجري الى زمن أهل خيمي . وفي جدار آخر صورة عجيبة لمركز الارض في هذا الكون ونسبةه اليه وفوق الارض انسان يتأمل مركزه في هذا الفضاء الواسع . وفي الجدار الرابع صور الفلسفه والانبياء العظام وعلى شفتي كل منهم كلمة بارعة أثرت عنه وصار لها أثر في التاريخ . والخيمي انما يذهب الى المعبد ليتبين قصده في الحياة اذا أحس باسم او ضلال فيقعد هناك منفرداً ويحاول أن يتصل بالكون وأن يعرف مركزه ومهمته فيه فيرتاح قلبه ويمدأ ضميره . و اذا استمر به السأم قصد الى احد رجال الهيئة الدينية فيدرسه ويعنى به ويفتح له ابواباً ينشط بها نفسه .

اما الهيئة التنفيذية فكانت مؤلفة من موظفي الحكومة المحليين والعموميين وعليهم انفاذ أوامر سائر الهيئات وتتلخص حياة الفرد في انه يبقى مع أبيه نحو ست سنوات ثم يذهب الى الجامعة ولا ييرحها حتى الأربعين تقريراً وهو في تلك المدة يرى أبيه ويعايشهما . ثم يخرج فيشتغل في احدى الصناعات اليدوية وينتمي الى نقابتها وعندئذ يصير فرداً ذا رأي في مصير الامة لانه ينتخب عن

سبيلها النواب في الهيئة التشريعية والقضاء واحياناً الصحافيين وتقابته عبارة عن شركة تعاون أيضاً فاذا دارت السنة عمل حساب الشركة ما باعته من حاصلات الدسكرة الزراعية والصناعية وما اشتراهُم توزع الارباح على الافراد كل بنسبة عمله . والجزاء يستوي تقريباً بين جميع الاعضاء لأن المال انحاطت قيمته عند أهل خيمي ولكن هناك افراداً لهم نزعات خاصة يهودون مثل امتلاك بيت صغير يزينونه بما شاؤوا من التحف . فهولاء يستغلون اكثر من غيرهم لكي يتوافر لديهم من المال ما يقتضون به ما يشهون من هذه التحف . ونقاية الدسكرة لا تمانع في ذلك بل تشجع عليه لأن مآل هذه الممتلكات اليها بعد وفاة أصحابها اذا ان مبدأ الارث كان قد ألغى منذ زمان بعيد . ومعظم ما ينفق الخيمي ما له عليه هو الطعام والاتوموبيل والطياره ( ولكل منها عداد وهم يسيران باللاسلكي ) اما المسكن فيعطي لكل فرد بالمجان وكذلك الماء والنور والحرارة . وللنقاية مخازن يباع فيها الطعام واللباس بأحسن الأثمان واهل خيمي لا يبالغون بكثرة النسل بل بجودته . فقد كانت مصر في سنة ١٩٢٥ نحو ١٥ مليوناً اما في سنة ٣١٠٥ فانهم نزلوا الى نحو ١٠ ملايين فقط . ولكن ليس فيهم

واحد يجهل الفلسفة أو مقداراً كبيراً من العلوم الأخرى  
وكلما يموت أحد منهم دون أن يكون قد ساح إلى القطب  
وعاد منه وذلك لأنهم وجدوا أن العبرة بالأشخاص كيف  
هم وليس كم هم

\* \* \*

كان بن عربي الاندلسي يقول : « لا ينبغي للعبد (يعني  
للإنسان : . . ) ان يستعمل همه في الحضور في مناماته بحيث  
يكون حاكماً على خياله يصرّفه بعقله نوماً كما كان يحكم عليه  
يقظة . . . »

وبعبارة أخرى ما نشتهيه في اليقظة نراه في النوم . فلا  
تهزاً بعد ذلك بالاحلام

